تقديم

منذ وقت طويل كنت دائماً أفكر فى دراسة تقوم على أهم غرض تناوله الشعراء القدامى هو غرض الرثاء الذى يقوم على صدق الشعور وصادق الإحساس؛ فهو بعيد تماماً عن التكسب الذى يبنى عليه غرض آخر هو المديح؛ فالراثى لا يريد مالاً ولا شهرة ولا منصباً ممن يرثيه أو يؤبنه. فكيف تكون درجة صدقه إذا خص بالرثاء آل البيت الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ إنها الدرجة العالية من الصدق، وكيف يكون هدف الراثى ورجاؤه منهم إنه الرضى والحب والترضى عليهم جميعاً رجاء صحبتهم فى الآخرة فى جنة عرضها السموات والأرض.

وفى ثورة هذا الحب الغامر، وهذا الحرص على هذه الدراسة توافق وتوافر عندى ما شعرت أن يكون معينى على هذه الدراسة إنه ديوان شاعر الشام ديك الجن الحمصى الذى خصه بجزء كبير فى رثاء آل البيت الكرام[1] وقد جمعه الأستاذ مظهر الحجى وهو من منشورات اتحاد الكتاب العرب وقد قام بتحقيقه وإلقاء الضوء عليه فى دراسة سريعة تساعد الباحثين على تقديم دراسات فى أغراض شعر الشاعر فأحببت أن أدلى بدلوى مشاركاً بهذه الدراسة لأهم غرض فى شعر الشاعر ديك الجن هو رثاء آل البيت وبهذا أكون قد وفيت بما كنت أفكر فيه وأتمناه أولاً وأكون قد أديت حقاً واجباً ودليلاً واضحاً على حبى لآل البيت الكرام (عليهم السلام) ثانياً. وشكراً مقدماً منى للشاعر الذى أسعدنا وساعدنا على تحقيق ما أردناه من هذه الدراسة ولجامع الديوان ومحققه وناشره ثالثاً. وقد

(١) تتمة: بلغ عدد أبياته ٢٢٥ بيتاً فى ثلاث عشرة قصيدة ومقطعة.

وضعت لهذه الدراسة عنواناً هو " شاعر الشام يرثى آل البيت الكرام" دراسة تحليلية نقدية.

من الشاعر:

شاعر الشام هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب، غلب عليه لقب "ديك الجن" حتى كاد يطمس اسمه(١).

فى مدينة حمص وفى أحد أحيائها ولد عبد السلام بن رغبان، وعاش فى هذه المدينة حياته الحافلة التى امتدت قرابة خمسة وسبعين عاماً، دفع به وهو طفل إلى المساجد حيث المعلمون والعلماء فى حلقات الدرس والبحث(٢).

عاش "ديك الجن" فى أوساط أسرة متعلمة معروفة؛ تقلب بعض رجالها فى أعمال الدولة، فكان من الطبعى أن يدفع الصبى إلى المسجد حيث تلقى علوم عصره، فوعى علوم اللغة والأدب والدين والتاريخ، وحصل كماً جيداً من المعارف، كان موضع فخره؛ فهو يقول، (من البسيط):

ما الذنب إلا لجدى حين ورثنى علماً وورثه من قبل ذاك أبى

انصب اهتمام الشاعر على اللغة والأدب والتاريخ، وكان له منها مكونات ثقافية ممتازة، ظهرت بوضوح فى شعره.

عاش "ديك الجن" قمة الثقافة والازدهار الحضارى فى العصر العباسى، وكان على الشاعر أن يكون مثقفاً، ملماً بفنون عصره وعلومه؛ ليتمكن من السير

---

(١) انظر: ص (١٨، ١٩) ديوان ديك الجن الحمصى عبد السلام بن رغبان جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجى، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: ص(٢٥، ٢٦) السابق.

فى زحمة الإبداع والتجديد، وقد استطاع أن يكون واحداً من شعراء عصره المثقفين المبدعين والمجددين[1].

عايش "ديك الجن" العصر العباسى الأول؛ هذا العصر المضطرب الفوار الذى ظهر على ساحته العديد من الحركات السياسية تبلورت فى تيارين رئيسين:

١- تيار السلطة الحاكمة الممثل فى بنى العباس.

٢- تيار المعارضة الذى تشعب إلى تيارات متعددة، وكان تيار الشيعة المناصرين لآل البيت العلوى الهاشمى، وحقهم فى الخلافة، أشدها بروزاً.

كان "ديك الجن" يقف فى الجانب المعارض لبنى العباس الذين قوضوا سلطان الدولة الأموية، باسم بنى هاشم ثم دفعوهم عن الخلافة واستأثروا بها، وكان "ديك الجن" متشيعاً متشدداً مناصراً لآل البيت وحقهم المغتصب فى الخلافة.

يقول أبو الفرج الأصفهانى فى ترجمته: "وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مراث كثيرة فى الحسين بن على (عليهما السلام) منها قوله:

يا عين لا للغضا ولا الكثب ** بكا الرزايا سوى بكا الطرب

وهى مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها، وله عدة أشعار فى هذا المعنى.

يقول محقق الديوان وجامعه الأستاذ مظهر الحجى: "كانت معظم معانيه فى شعره تدور حول قطب واحد هو حق آل البيت فى الخلافة، مع إبراز موقف

(١) انظر: ص (٣٧، ٣٨) السابق.

(على) (ﷺ) فى نصرة الإسلام ورضى رسول الله(ﷺ)، عليه ومباركته زواجه من ابنته (فاطمة) (رضي الله عنها)، ثم إبراز مصارع آل البيت وتاريخهم الدامى.

وانسجاماً مع إخلاصه لمذهبه السياسى انقطع لأحمد وجعفر، ابنى على الهاشمى وهما من وجوه بنى هاشم فى العصر العباسى، وكانت إقامتها فى (سلمية)، وقد خصهما بمديحه وصداقته الحميمة، وما كان يرى فيهما ممدوحين صديقين؛ بل يراهما إمامين من أئمة الهدى. ولقد بكى إمامه وصديقه (جعفر بن على) بكاءً حاراً حينا تخطفته يد الموت، فى واحدة من عيون قصائد الرثاء حرارة وصدقاً. وستأتى فى محلها من الدراسة، بعون الله وتوفيقه[1].

عاش "ديك الجن" حياته قلقاً مضطرباً يحكمه إحساس حاد بأنه محاصر مطارد، وكان هذا الإحساس وليد الخوف. ولقد عبر عن خوفه بأشكال مختلفة وفى مناسبات متعددة. فمم كان يخاف؟

كان يخاف من السلطة السياسية العباسية. وذلك لأنه كان يقف فى صفوف المعارضة الشيعية المناصرة لآل البيت وحقهم فى الخلافة. كان التضاد بين التعبير عن رأيه والخوف من التعبير، ينهكه ويضنيه؛ يقول:

أبكيكم يا بنى التقوى وأعولكم ** وأشرب الصبر وهو الصاب والصبر

إنه لا يستطيع إلا الصبر، كما أنه لا يستطيع التصريح باسم أعدائهم فيكتفى بهذا الرمز المتسائل:

واحسرتا من غصبه ** وسكوته واحسرتا

طالت حياة عدوه ** فإلى متى وإلى متى؟

(١) انظر: ص: ٣٩، ٤٠ ديوان ديك الجن.

قضى ديك الجن معظم أيام حياته فى مدينة حمص، وعلى الرغم من أن العراق كان قبلة الشعر فى زمنه، إلا أنه لم يزره، ولم يفد على بلاط خلفائه أو وزرائه وأمرائه؛ لأنه لم يكن شاعراً مداحاً متكسباً بشعره. ويرجع ذلك إلى سببين أتفق مع محقق الديوان فيهما الأول: هو مذهبه السياسى المعارض لبنى العباس، والثانى: طبيعة تكوينه النفسى ومزاجه العنيف المترفع، وقد كان من أنفته واعتداده بنفسه ما يمنعه من الوقوف بين أيدى الخلفاء والأمراء وتلقى المكافآت والهبات. ومع هذا فقد مدح "أحمد وجعفر" الهاشميين ولكن هذا المديح لا يثبت عليه صفة التكسب، وإن كان يستعين بهما أحياناً فى حل أزماته المالية، وكان "ديك الجن" شيعياً متحزباً لآل البيت؛ فكان من الطبعى أن يتصل بهما، وأن يمدحهما، لأنه كان يمدح آل البيت فى شخصيهما(١).

قال صاحب الأغانى عن "ديك الجن": ".. وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبى تمام والشاميين فى شعره"(٢).

وقال ابن رشيق: "... وأبو تمام من المعدودين فى إجادة الرثاء ومثله عبد السلام بن رغبان، ديك الجن، وهو أشهر فى هذا من حبيب وله طريق انفرد بها"(٣).

وقال ضياء الدين بن الأثير: "وديك الجن عبد السلام بن رغبان، أشهر من حبيب فى الرثاء، وله طريقة انفرد بها"(٤).

---

(١) انظر: الديوان ص (٤٨).

(٢) انظر: الأغانى ج ١٥/١٤ والديوان ص (٤٩).

(٣) انظر: العمدة ٢/ ١٤٩. والديوان ص (٥٤).

(٤) انظر: كفاية الطالب، ت: نور الدين القيسى وغيره جامعة المحصل ١٩٨٢م.

وقال ابن فضل الله العمرى: "كان إذا قيل شاعر الشام لا يـراد غيـره أى؛ ديك الجن، ولا يستفاد إلا خبره... ولم يكن من شعراء زمانه من ينافسه فى عزه ويناوئه ولا يحسن أن يأتى بمثل طرزه"(١).

وقال عبد الله بن المعتز: ".. ومما ينضاف إلى ذلك من مليح كلام شـاعر الشام، وهو عبد السلام بن رغبان، ديك الجن، قوله فى صفة الخمر، لم يصـرح ابن المعتز باسم "ديك الجن" سوى هذه المرة، وكان يكتفى بلقب (شاعر الشـام)، عندما يعرض شعره مما يدل على اشتهاره بهذا اللقب"(٢).

من الأقوال السابقة والشهادات المتقدمة لكبار النقاد القدماء، ومـن قـراءة ديوان "ديك الجن" نرى أن الشاعر قد وصف وتغزل ومدح ورثى وهجا وافتخر مما حدا بمحقق الديوان أن يصفه قائلاً: "إن ديك الجن الحمصى يمثـل نموذجـاً فريداً أكثر غرابة وإثارة فى تاريخنا الشعرى العربى الطويل؛ لأنه قد عاش حياة شاعر حقيقية عاش بالشعر وللشعر، فى مواقفه السياسية المعارضة الحادة، وفى ابتعاده عن التكسب بشعره، وفى مجونه وهيامه بالمرأة والخمر والطبيعة، وفـى تمرده على المجتمع وهجومه عليه متشبهاً بالشعراء الصعاليك الرافضين. وهـو شاعر مهم مجدد عاصر المجددين الكبار من أمثال أبـى نـواس وأبـى تمـام، واستطاع أن يبلغ قاماتهم العالية، وهو شاعر يفصح عن الكثير مـن التنـاقض القائم على التضاد فى مواقفه السياسية والفكرية والفنية والنفسية؛ فهـو شـاعر يتشيع لآل البيت؛ رهط الرسول الكريم (ﷺ) الـذين يرفعـون رايـة الإسـلام ويستشهدون من أجلها، وهو فى الوقت نفسه يستخف بالدين والعبادات حتى يبلغ

---

(١) انظر: مسالك الأبصار، معهد تاريخ العلوم الإسلامية ١٩٨٨م. والديوان ص (٥٥).

(٢) انظر: فصول التماثيل ت: جورج قنازع، دمشق مجمـع اللغـة العربيـة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، والديوان ص (٥٤، ٥٥).

استخفافه مشارف الكفر حين يعبر عن عدم إيمانه بالقيامة والبعث، وهو الشاعر العربى الذى يفخر بانتمائه إلى قبيلة (كلب)؛ ولكنه فى مواقف مضادة يهاجم العرب هجوماً شديداً مما دفع بعضهم إلى اتهامه بالشعوبية، وهو الشاعر الشامى الذى تمسك بالقصيدة العربية ونظم على منوالها، ولكنه هجم هجوماً عنيفاً على هيكلها؛ فدعا فى شعره إلى تجاوز المقدمات الطللية ليكون صادقاً مع نفسه ومعاصراً لزمنه الذى ابتعد كثيراً عن حياة البداوة[1]، وهو الشاعر العاشق المتيم الذى قال فى حبيبته (ورد) الكثير من شعر الغزل الرفيع، معبراً عن حبه الصادق للمرأة ممثلة فى (ورد)، ولكن وجهه الآخر يفصح عن رأى سيئ بالمرأة حين لا يرى فيها سوى مخلوقه متقلبة غادرة لا تصلح إلا للذته المادية الجسدية. ربما كانت هذه الأسباب مجتمعة هى التى جعلت الأدباء والشعراء يتنبهون قبل النقاد، منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، إلى أهمية هذا الشاعر وفرادته، فسبقوا المحققين وجماع الشعر والنقاد فى محاولات إحيائه فى أعمالهم الأدبية التى ما زالت مستمرة حتى اليوم، كما دفعت بعض النقاد المعاصرين إلى محاولة تأكيد تأثيره فى الآداب العالمية من خلال المقارنة بين مأساته ومأساة عطيل فى مسرحية (شكسبير) الشهيرة[2]. إنه شاعر الشام ديك الجن الحمصى الذى قال؛ فى الموت والرثاء والعزاء:

فإذا شوفى بى كنت حماما ** وإذا عولج بى كنت شفاء

وقال:

فإن مات لم يحزن صديقاً مماته ** وإن عاش لم يضرر عدواً بقاؤه

---

(١) انظر: الديوان ص (٥٦).

(٢) انظر: (ص ٥٦، ٥٧) من الديوان.

وقال:

يـا طلعـة طلـع الحمـام عليهـا ** وجنـى لهـا ثمـر الـردى بيـديها

رويـت مـن دمهـا الثـرى ولطالمـا ** روى الهـوى شـفتى مـن شـفتيها

قـد بـات سـيفى فـى مجـال وشـاحها ** ومـدامعى تجـرى علـى خـديها

فوحـق نعليهـا ومـا وطـئ الحصـى ** شـىء أعـز علـى مـن نعليهـا

مـا كـان قتليهـا لأنـى لم أكـن ** أبكـى إذا سـقط الـذباب عليهـا

لكـن ضـننت علـى العيـون بحسـنها وأنفـت مـن نظـر الحسـود إليهـا

وقال:

أخـاً كنـت أبكيـه دمـاً وهـو حاضـر ** حـذاراً وتعمـى مقلتـى وهـو غائـب

فمـات فـلا صـبرى علـى الأجـر واقـف ** ولا أنـا فـى عمـر إلى الله راغـب

ومـا الإثـم إلا الصـبر عنـك وإنمـا ** عواقـب حمـد أن تـذم العواقـب

وقال فى ولده:

بـأبى نبـذتك فـى العـراء المقفـر ** وسـترت وجهـك بـالتراب الأعفـر

بـأبى نبـذتك بعـد صـون للبلـى ** ورجعـت عنـك صـبرت أم لم أصـبر

لـو كنـت أقـدر أن أرى أثـر البلـى ** لتركـت وجهـك ضـاحياً لم يقـبر

دثـرت محاسـنه وأصـبح مـاؤه ** سـقى الـتراب وكـان أحسـن منظـر[1]

(١) انظر: ص (١٤٦) من الديوان.

وقال فى مدح آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين وخص منهم (على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) و(رضي الله عنه) [1]: (من مجزوء الكامل).

شرفى محبة معشر ** شرفوا بسورة هل أتى

وولاى فيمن فتكه ** لذوى الضلالة أخبتا

وإذا تكلم فى الهدى ** حج الغوى وأسكتا

فلفتكه ولهديه ** سماه ذو العرش الفتى

ثبت إذا قدما سوا ** ه فى المهاوى زلتا

لم يعبد الأصنام قط ** ط ولا أراب ولا عتا

لقد شرف بآل البيت الكرام الذين نزل فيهم قرآن رب العالمين وحياً من الله إلى رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) وخص منهم علياً وآل بيته وقد تركت فيهم ولهم سورة الإنسان لتثبت لهم شرفاً وفضلاً؛ فهم المتقون الصابرون الذين يطعمون الطعام المساكين واليتامى والأسرى وأبناء السبيل رغم حاجتهم إليه؛ فهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ولم يكتف بهذا؛ بل مدح سيدهم وشرفهم فأعلن ولاءه وتشيعه لعلى (كرم الله وجهه)، الذى كان سيفاً مسلولاً على الكافرين ذوى الضلالة والغى المبين، إنه صاحب الحجة المتينة المؤيدة بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك كله استحق أن يلقب بالفتى الذى جمع بين هداية الضال والفتك بالمشرك المعاند، فقدمه راسخة رسوخ الجبال الشم، وقدما غيره زلت فى الرذيلة؛ فلم يكن له فى عبادة الأصنام والأوثان نصيب، ولم يكن له فى الشك أدنى حظ، وإيمانه منه قد خلا، ومن الإشراك قلبه قد صفا.

(١) انظر: ص (٩٥) من الديوان.

يقول الشاعر:

غرســـت يـــد البـــارى لـــه ** ربـــع الرشـــاد فأنبتـــا

وأقامـــه صـــنواً لأحـــ ** ـــمد دوحـــه لـــن ينحتـــا

صـــنوان هـــذا منـــذر ** وافـــى وذا هـــاد أتـــى

يهـــدى لمـــا أوفـــى بـــه ** حكـــم الكتـــاب وأثبتـــا

فهـــو القـــرين لـــه ومـــا افـــ ** ـــترقا بصـــيف أو شـــتا

استحق هذا الفتى الجزاء الأوفى من ربه (ﷻ)؛ فأرشده إلى عبادته وحده لا يشرك به شيئاً؛ فنبت غرسه فى أرض الإسلام، وآتى أكله فى شـجر الإيمـان، واختاره معيناً ومساعداً لأخيه أحمد عليه الصلاة والسلام، شريفاً مكرماً لم يدنس بدنس الجاهلية فاضطلع بالرسالة معه هذا ينذر ويبشر، وهذا يهدى ويرشد بكـل ما جاء به الوحى الكريم فهما صنوان وهما قرينان متلازمان، ومع ذلـك حـرم الخلافة من بعده.

يقول:

لكنمـــا الأعـــداء لم ** يـــدعوه أن يتلفتـــا

ثقـــل الهـــدى وكتابـــه ** بعـــد النبـــى تشـــتتا

واحســـرتا مـــن غصـــبه ** وســـكوته، واحســـرتا

طالـــت حيـــاة عـــدوه ** حتـــى متـــى؟ وإلى متـــى؟

من هنا لم يتركه الأعداء أن يطالب بحقه فى الخلافة؛ فقد حرم منها فتشتت الإيمان وتصدعت أركان الخلافة بعد أن أخذها من لايستحقها واغتصبها منـه، فسكت على هذا وكتم غيظه حتى لا يفسر غضبه بالطمع فيها، وتفرقـت كلمـة

الأمة، فواحسرتا على هذا الاغتصاب المقيت، ويا حسرتا على هذا الصمت المميت الذى تسبب فى حرمان على وعترته الذكية من حقهم الذى لا مراء فيه، والذى لايختلف عليه اثنان، ولقد طالت حياة أعدائه ومغتصبى حقه، وكما ضاع حقه ضاع حق أبنائه وانتهت حياتهم كحياته قتلاً وتشريداً.

وقال "ديك الجن" يمدح أهل البيت (عليهم السلام) من أرجوزته الكاملة[1]:

إن الرسول لم يزل يقول ** والقول ما قال به الرسول

إنك منى يا على الأبى ** بحيث من موساه هرون النبى

لكنه ليس نبى بعدى ** فأنت خير العالمين بعدى

وأنت منى الزر من قميصى ** وما لمن عاداك من محيص

وأنت لى أخ وأنت صهر ** زوجك الذى إليه الأمر

هذه شهادة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شهادة حق وصدق، إن علياً هو أخ للهادى البشير بمثابة هرون من موسى (عليهما السلام)، وإن هرون نبى كأخيه موسى، ولو كان بعد محمد من نبى لكان على هو النبى؛ فأثبت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الأخوة لعلى دون النبوة، وهى منزلة تليها فى الشرف وهو الأمين على الرسالة، ولا مكان لغيره فيها، ومن عاداه ونازعه هذا الشرف وتلك المنزلة فماله من مفر؛ من غضب الله وغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أوصلته هذه المنزلة إلى أرقى من ذلك؛ فقد زوجه الله (عز وجل) ببنت خير الخلق، فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا هو اختيار الله وتلك شهادة أخرى لسمو منزلة على وشهادة حق فى تحمل أعباء هذه الرسالة وتلك الأمانة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ يقول:

---

(١) انظر: ص (١٩٤) ديوان ديك الجن الحمصى.

..... ** زوجـــك الـــذى إليـــه الأمـــر

رب العلـــى بفـــاطم الزهـــراء ** ذات الهـــدى ســـيدة النســـاء

أول خلـــق جـــاء فيهـــا خاطبـــاً ** عنـــك إلى جائيـــاً وذاهبـــا

وقال:

قـــد قضـــى إلهـــك العلـــى ** بـــأن تـــزوج البتـــول بعلـــى

فـــزين الجنـــات أحلـــى زينـــه ** واجتلـــت الحـــور علـــى ســـكينه

ولاحـــت الأنـــوار منـــه الســـاطعه ** وصـــف أمـــلاك الســـماء الســـابعه

وقمـــت عـــن أمـــر إلهـــى تخطـــب ** فـــيهم وتعطـــيهم كمـــا قـــد طلبـــوا

أذعن الرسول(ﷺ) لأمر ربه فرحاً مسروراً، ولقضاء الله راضياً شـكوراً، وفرحت معه الحور العين فى جنات زينها الله أحلى زينة نورها بنـوره، وألقـى عليها السكينة، وأمر أن تصف الملائكة احتفاء بهذا العرس السـعيد، وأن تغنـى مسبحة بأحلى نشيد، وأن تبارك هذا العيد، وقام فيهم الهادى خطيباً شـاكراً لهـم صنيعهم.

يقول:

ثـــم قضـــى الله إلى الجنـــان ** أن يجتنـــى الـــدانى مـــن الأغصـــان

فـــأمطرتهم حلـــلاً وحليـــاً ** حتـــى رعـــوا ذلـــك منهـــا رعيـــا

فمـــن حـــوى الأكثـــر مـــنهن افتخـــر ** بالفضـــل فيمـــا حـــازه علـــى الأخـــر

فـــرد مـــن يخطـــب فـــالله قضـــى ** بـــأن تكـــون زوجـــة للمرتضـــى

وقـــد حبـــانى مـــنكم الســـبطين ** همـــا بحلـــى العـــرش كـــالقرطين

فالحمـــد لله علـــى مـــا قـــد حبـــا ** بخمســـة الأشـــباح أصـــحاب العبـــا

جاءهم الكرم من الله (ﷻ)، وغمرتهم الجنان بالجود، وفرحت مع العروسين الحور العين، وقد رد الرسول (ﷺ) كل من جاء فاطمة خاطباً لأن الله اختارها لعلى الحبيب المرتضى فبارك فى العروسين ووهب لرسوله منهما السبطين الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة وثمرتى فؤاده (ﷺ) فوجب الحمد والشكر لله على هذه النعم الكثيرة.

يقول:

هم لمن والاهم الأمان ** إذ كان فيهم يكمل الإيمان

وهم يدعون الذى لهم قلى ** للنار دعا حيث كان المصطلى

هم هداة الخلق للرشاد ** والفوز فى المبدأ والمعاد

إن علياً خير أهل الأرض ** بعد النبى فاربعى أو امضى

هو الذى سمى أبا البيان ** صدقت أو أصبت بالبيان

وهو أبو العلم الذى لا يعلم ** من قوله قولوا ولا تحمحموا

عضو النبى المصطفى وروحه ** وشمه وذوقه وريحه

يفخر الشاعر بتشيعه لآل بيت رسول الله (ﷺ)، وله أن يفخر بهم ما شاء له الفخر؛ أليسوا هم الأمان لمن والاهم وأحبهم؛ فبحبهم يكمل الإيمان، وببغضهم تصطلى النيران، يدعون من عاداهم دعاً إليها؛ لأنهم هداة الخلق للهدى والرشاد والفوز فى الأولى والآخرة، وهذا على سيد أهل الأرض جميعاً بعد النبى (ﷺ)؛ فهو باب مدينة العلم، وهو أبو البيان، وهو صاحب العلم الذى غاب عن أقرانه؛ لقد شهد له عمر (رضي الله عنه) بذلك حيث قال: "قضية ولا أبا حسن لها"؛ فمن والاه وشايعه وتشيع له هدى إلى الصراط المستقيم، ومن عاداه ذل وخاب وخسر، والعياذ بالله.

وقال الشاعر "ديك الجن" يمدح أمير المؤمنين (عليه السلام) فى بائيته المشهورة التى قال فيها صاحب الأغانى: "... وله مراث كثيرة فى الحسين بن على (عليهما السلام) منها قوله: ياعين البيت)، وهى مشهورة، عند الخاص والعام، ويناح بها. وله عدة أشعار فى هذا المعنى"(١).

يقول: (من المنسرح)

يا عين لا للغضا ولا الكثب ** بكا الرزايا سوى بكا الطرب

جودى وجدى بملء جفنك ثم ** احتفلى بالدموع وانسكبى

يا عين فى كربلا مقابر قد ** تركن قلبى مقابر الكرب

مقابر تحتها منابر من ** علم وحلم ومنظر عجب

من البهاليل آل فاطمة ** أهل المعالى والسادة النجب

كم شرقت منهم السيوف وكم ** رويت الأرض من دم وسرب

نفسى فداء لكم ومن لكم ** نفسى وأمى وأسرتى وأبى

لا تبعدوا يا بنى النبى على ** أن قد بعدتم والدهر ذو نوب

ينادى عينه يطلب منها البكاء وذلك فى مقام الرثاء، وفرق بين بكاء وبكاء يبكى المرء من شدة الفرح والسرور، وآخر يبكى من شدة الوجد والأسى والحزن لجلل المصيبة التى حلت به. وعينه تبكى شهداء فى كربلاء تبكى علماً وحلماً سكنا مقابرها، تبكى من شرقت السيوف من دمائهم ورويت منها الأرض، العين والقلب والنفس والأب والأم فداء لهم جميعاً لأنهم أبناء الشرف والعز

(١) انظر: ديوان ديك الجن ص (٨٩)، والأغانى: ج ١٤/ ٥١.

والنبوة الذين لم يسلموا من صروف الدهر ومصائبه فرضوا بقضاء الله وقدره، وتركوا له حزناً دفيناً وهماً دائماً.

ثم يتوجه إلى نفسه هذه المرة يصبرها؛ فيقول:

يا نفس لا تسأمى ولا تضقى ** وارسى على الخطب سورة الهضب

صونى شعاع الضمير واستشعرى ** الصبر وحسن العزاء واحتسبى

فالخلق فى الأرض يعجلون ومو ** لاك على توأد ومرتقب

لابد أن يحشر القتيل وأن ** يسأل ذو قتله عن السبب

فالويل والنار والثبور لمن ** قد أسلموه للجمر واللهب

يطلب من نفسه الصبر وحسن العزاء؛ بأن تحتسب أحبابها عند الله أجراً ومثوبة، وألا تيأس ولا تضق على ما أحزنها وأقض مضجعها، وألا تكون مثل من يعجل الأمر ويستبطئ العقوبة؛ فهناك يوم القصاص الذى يحشر فيه القاتل والمقتول، ويقتص فيه للمظلوم من ظالمه؛ فالويل والثبور ونار الله الموقدة لمن آذوه فى قتل أحبابه؛ لقد أسلموهم للقتل والجمر واللهب، وها هو ينادى أحبابه الذين فارقوه وكأنهم معه يأتنس بهم، وبحديثهم يسرى عن نفسه الحزينة الثكلى بفقدهم، يقول:

يا صفوة الله فى خلائقه ** وأكرم الأعجمين والعرب

أنتم بدور الهدى وأنجمه ** ودوحة المكرمات والحسب

وساسة الحوض يوم لا نهل ** لمورديكم موارد العطب

فكرت فيكم وفى المصاب فما انـ ** ـفك فؤادى يعوم فى عجب

ما زلتم فى الحياة بينهم ** بين قتيل وبين مستلب

إن أحبابه الذين فارقوه هم صفوة خلق الله حقاً، وهم أكرم من حملت الأرض من عرب ومن عجم، وهم إن شاء الله على حوض جدهم رسول الله (ﷺ) يوم القيامة، يوم يمر عليهم من ساموهم سوء العذاب، ثم تركوهم عطاشاً، ثم قتلوهم فشربت الأرض ورويت من دمائهم الزكية يمرون عليهم فيحرمونهم من ماء الحوض فمن أين يشربون، وبمن يستغيثون ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[1] بئس مصيرهم وساء مرتفقهم عندها يندمون، ولات ساعة مندم.

ثم يمضى يقص ما حدث من تقريب رسول الله (ﷺ) لصاحبيه أبى بكر وعمر اللذين صار لهما الحكم من بعده والخلافة، وما كان لهما قرابة لديه مما دعاه إلى الوصية لعلى بن أبى طالب (كرم الله وجهه) و(رضي الله عنه)؛ يقول:

قد كان فى هجركم رضى بكم ** وكم رضى مشرج[2] على غضب
حتى إذا أودع النبى شجا[3] ** قيد لهاة القصاقص[4] الحرب[5]
مع بعيدين[6] أحرزا نسبا ** مع بعد دار عن ذلك النسب
وما كان تيم لهاشم بأخ ** ولا عدى لأحمد بأب
لكن حديثا عداوة وقلى[7] ** تهورا فى غيابة الشقب[8]
قاما بدعوى فى الظلم غالبة ** وحجة جزلة[9] من الكذب

---

(١) بعض آية رقم (٢٩) من سورة الكهف.

(٢) مشرج: مشدود مربوط. (٣) الشجا: ما اعترض فى الحلق. (٤) القصاقص: القوى. (٥) الحرب: الشجاع. (٦) البعيدين: أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما). تيم بن مرة رهط أبى بكر. عدى: رهط عمر. (٧) القلى: البغض. (٨) الشقب: المهاوى بين الجبال. (٩) الجزل: الكثير العظيم من كل شىء.

مـــن ثـــم أوصـــى بـــه نبـــيكم ** نصـــاً فأبـــدى عـــداوة الكلـــب

لقد سطا أبو بكر ومن بعده عمر على الخلافة – فى نظره – ولم يخضعا لوصية الرسول (ﷺ) لعلى بها، وما كان لهما أدنى قرابة منه (ﷺ) وكان إسلامهما فى ذلك هو مصاهرة رسول الله (ﷺ) لهما؛ فما أبعد الشقة بين تيم رهط أبى بكر وهاشم جد النبى(ﷺ)، وأشد بعدها بين عدى رهط عمر وأحمد رسول الله فهما رغم هذا قاما ظلماً وعدواناً وسلبا حق غيرهما فى الخلافة؛ وعليه نجده يقول:

ومـــن هنـــا انـــبرى الزمـــان لهـــم ** بعـــد التيـــاط[١] بغـــارب[٢] جشـــب[٣]

لا تســـلقونى[٤] بحـــد ألســـنكم ** مـــا أرب الظـــالمين مـــن أربـــى

إنـــا إلى الله راجعـــون علـــى ** ســـهو الليـــالى وغفلـــة النـــوب[٥]

غـــدا علـــى ورب منقلـــب ** أشـــأم قـــد عـــاد غـــير منقلـــب

فـــاغتره[٦] الســـيف وهـــو خادمـــه ** متـــى يهـــب[٧] فـــى الـــوغى[٨] بـــه يجـــب

أودى علـــى ولـــو مـــد عينـــه أســـد الســـ ** ـغـــاب لنـــاجى الســـرحان[٩] فـــى الهـــرب

هكذا تقلب الزمان بالأصفياء، ورعايته الأوغاد الظالمين؛ هكذا سهو الليالى وغفلة الأحداث عن القتلة وسفاكى الدماء، الذين يأخذون غيرهم على غرة ويضربونهم فى ظهورهم ضرب الجبناء، الأسى والأسف على هذا الفدائى صاحب السيف الطاهر الذى سلك به كل طريق قويم، وكل درب سديد، سيفه على الأعداء مسلط لا يهاب ولايخاف فى الله لومة لائم، يعود فيكون أداة قتله

(١) الالتياط: الالتزاق. (٢) الغارب: الكاهل. (٣) الجشب: الخشن. (٤) سلقه بالكلام: آذاه. (٥) النوب: المصائب. (٦) اغتره: خدعه. (٧) أهاب به: ناداه. (٨) الوغى: الحرب. (٩) السرحان: الذئب

ونهاية عمره وستار خاتمته. وفى هذه القصيدة دليل واضح على التكلف والخشونة فى اختيار الألفاظ الذى قد يسبب عسراً فى الفهم والوصول إلى المراد والدليل هو فى مثل كلمة: مشرج، الشجا، القصاقص، القلى، الشقب، التياط، غارب جشب، مما جعلنا نضع له تفسيراً فى الهامش.

ثم يعلنها مدوية حزينة، آهة باكية لما حدث من الأعداء، حسرة مؤلمة وكربة صارخة على هذا الظلم الذى اكتوى بناره؛ يقول:

يا طول حزنى ولوعتى وتبا ** ريحى ويا حسرتى ويا كربى
لهول يوم تقلص العلم والد ** ين بثغريهما عن الشنب
ذلك يوم لم ترم جائحة ** بمثله المصطفى ولم تصب
يوم أصاب الضحى بظلمته ** وقنع الشمس من دجى الغهب
وغادر المعولات من هاشم الـ ** ـخير حيارى مهتوكة الحجب
تمرى عيوناً على أبى حسن ** محفوفة بالكلوم والندب
تغمر ربع الهموم أعينها ** بالدمع حزناً لربعها الخرب
تئن والنفس تستدير بها ** رحى من الموت مرة القطب
لهفى لذاك الرواء أم ذلك الـ ** ـرأى، وتلك الأنباء والخطب

إنه يوم المصيبة الكبرى غضب رسول الله (ﷺ) وحزن لما حدث فيه من قتل على (كرم الله وجهه) وتشريد المسلمين، يوم اشتدت ظلمته حين أصبحت فيه نساء بنى هاشم حيارى مشردات حزينات آسفات على هذا الدم الطاهر الزكى دم الحبيب أبى حسن صاحب الرأى السديد صاحب الحكمة والقضاء الفاصل، إن قلوبهن تئن وعيونهن تدمع، ونفوسهن قد طحنتها رحى المنية يوم فقد على؛ لقد

ناداه الشاعر بعد أن فارقه أسفاً على هذا الفراق الذى أصاب كبده فى مقتل؛ فهو سيد الأوصياء، والمرتضى وصاحب الحجة؛ يقول:

يا سيد الأوصياء والعالى الـ ** ـحجة والمرتضى وذا الرتب

إن يسر جيش الهموم منك إلى ** شمس منى والمقام والحجب

فربما تقعص الكمأة بأقـ ** ـدامك قعصاً يجثى على الركب

ورب مقورة[1] ململمة[2] ** فى عارض[3] للحمام[4] منسكب

فللت أرجاءها وجحفلها ** بذى صقال كوامض الشهب

أو أسمر الصدر أصفر أزرق الـ ** أس وإن كان أحمر[5] الحلب

لقد كان على شجاعاً مقداماً لا يهاب لقاء الأعداء، بل كان يتقدم صفوف المحاربين فى جيش الإسلام فيلقى الرعب فى قلوب أعدائه، وهم من شدة بأسه يقعون على ركبهم، ومهما كان عدد جنودهم وعددهم وعتادهم كل ذلك فى نظره وأمام شجاعته وإقدامه لا يساوى شيئاً أمام سيفه المصقول سيف الحق الذى لا يفل شباه أبداً.

ثم يصبر نفسه كى تتقبل قضاء الله وترضى بقدره، وتعلم أن لكل أجل كتاباً، ولكل نفس حينها، وسبباً لموتها؛ يقول:

أودى على صلى على روحه اللـ ** ـه صلاة طويلة الدأب

وكل نفس لحينها سبب ** يسرى إليها كهيئة اللعب

والناس بالغيب يرجمون وما ** خلتهم يرجمون عن كثب

---

(١) المقورة: الضامرة، (٢) الململمة: المجتمعة. (٣) العارض: السحاب، (٤)الحمام: الموت. (٥) أحمر الحلب: يقطر سنانه بدماء الأعداء.

وفـــى غـــد فـــاعلمن لقـــاؤهم ** فـــــإنهم يرقبـــــون فارتقـــــب

إن الله (ﷻ) يصلى صلاة رحمة على عباده وأحبابه الداعين إليه والمبلغين عنه رسالته وهديه وشريعته، وفى مقدمة هؤلاء إمام المؤمنين وخليفة المسلمين ووصى رسول الله (ﷺ) الذى قضى نحبه وأصابه ما أصابه، وعلى محبيه أن يرضوا بقضاء الله وقدره؛ فهو الذى كتب لكل نفس أجلها، وسجل عليها سبب موتها، ومهما قال الناس فلن يغير قولهم شيئاً، وسيظهر لهم ذلك حين يلقون ربهم.

والشاعر كلما اشتد عليه الحزن لما حدث لآل البيت يأتى إلى نفسه فيذكرها بسيرة أميرهم وإمامهم ففيها من الذكريات الجميلة ما فيها، ومن هذا قوله يمدح الإمام علياً (كرم الله وجهه) ويذكر لنا فداءه للمصطفى (ﷺ) وشجاعته فى الحرب؛ يقول: (من المتقارب)

دعـــوا ابـــن أبـــى طالـــب للهـــدى ** ونحـــــر العـــــدى كيفمـــــا يفعـــــل

وإلا فكونـــــوا [....] كمـــــا كـــــان ** هـــــدى ولنـــــار الـــــوغى فاصـــــطلوا

ومـــــن كعلـــــى فـــــدا المصـــــطفى ** بـــــنفس، ونـــــام فمـــــا يحفـــــل

عشـــــية جـــــاءت قـــــريش لـــــه ** وقـــــد هـــــاجر المصـــــطفى المرســـــل

وطـــــافوا علـــــى فرشـــــه ينظـــــرو ** ن مـــــن يتقـــــدم إذ يقتـــــل

فلمـــــا بـــــدا الصـــــبح قـــــام الوصـــــى ** فأقبـــــل كـــــل لـــــه يعـــــذل

إنه الوصى وداعى الهدى وهو سيف الله المسلط على الأعداء، لقد عرف دوره فى الحياة، فاتركوه لهذا الدور ولا تمسوه بسوء فهو هاديكم وهو فداء حبيبكم من غدر سيوف الأعداء ليلة الهجرة؛ لقد تعجبت قريش من هذا النائم الذى لا يخاف القتل ولا يهاب الموت؛ من هذا، لقد زال عجبهم وانتهت دهشتهم

عندما كشفوا الغطاء عن البطل المغوار على بن أبى طالب، لقد شهد له أعداؤه بشجاعته، وقتله الأحباب بسيوفهم التى كانت يوماً تفتديه لأنه ضحى بنفسه من أجل حبيبه (ﷺ)؛ يقول متعجباً مفتخراً بعلى ومفاخراً بشجاعته[1]:

ومن كعلى إذا ما دعوا ** نزال، وقد قل من ينزل

نراه يقد جموم[2] الرجال ** فينـدحر الأول فالأول

وكم ضربة واصلت كفه ** لفيصله فاحتوى الفيصل

سطا يوم بدر بقرضابه ** وفى أحد لم يزل يحمل

ومن بأسه فتحت خيبر ** ولم ينجها بأيها المقفل

دحا أربعين ذراعاً بها ** هزبر[3] له دانت الأشبل

هذه هى شجاعته التى يفخر بها الشاعر؛ فعلى دائماً فى مقدمة الصفوف؛ يقطع رءوس أعدائه بسيفه، وله فى المشاهد كثير من الدلائل فها هو فى يوم بدر سطا على أعدائه يجذ نواصيهم ورقابهم بسيفه، وكذا فى يوم أحد، وفى يوم خيبر ذات الحصون المنيعة والأسوار المرتفعة العالية لم تنج منه فقد اعتلى أسوارها وفتح أبوابها أمام جند الله المسلمين وخرت بين أيديهم جنودها والله أعلى وأكبر فتحت خيبر فتحت خيبر؛ هذا هو الإمام هذا هو الوصى الشجاع.

وفى قصيدة أخرى يروى ويقص ما حدث لعلى (كرم الله وجهه) فى أمر الخلافة؛ فعلى الرغم من وصية الرسول (ﷺ) له بها من بعده، رفض أبو بكر وعمر ذلك وجعلوه رابعهم بعدهما وبعد عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، يقول: (من الكامل)

---

(١) انظر: الديوان ص (١٤٦).

(٢) جموم الرجال: رقابهم، القرضاب: السيف القاطع.

(٣) الهزبر: الأسد، والشبل هو ابن الأسد.

أصبحت جم[1] بلابل[2] الصدر ** وأبيت منطوياً على الجمر
إن بحت يوماً طل فيه دمى ** ولئن كتمت يضق به صدرى
مما جناه على أبى حسن ** عمرو صاحبه أبو بكر
طلب النبى صحيفة لهم ** يملى ليأمنهم من الغدر
فأبوا عليه وقال قائلهم ** قوموا بنا قد قال بالهجر[3]
ومضوا إلى عقد الخلاف وما ** حضروه إلا داخل القبر
جعلوك رابعهم أبا حسن ** ظلموا ورب الشفع والوتر
وعلى الخلافة سابقوك وما ** سبقوك فى أحد ولا بدر

إن ما حدث من تبديل وتغيير واعتداء على حق غيرهم جعله مشتت الفكر إذا أصبح، ومنطوياً على الأسى والحزن إذا أمسى؛ فهو بين أمرين أحلاهما مر؛ إن أفصح عما بداخله وهو المطالبة بحق على وآل بيته فى الخلافة أهدر دمه فقتل، وإن كتمه ضاق به صدره حتى كاد يقتله الحزن والأسى، فعلى الرغم من وصية رسول (ﷺ) التى أراد أن يثبتها كتابة فأبى أبو بكر وعمر ذلك واغتصبوا هذا الحق وصار الأول خليفة والثانى خليفة من بعده ومن بعده عثمان فقد جعلوا علياً رابعهم؛ فسبقوه فى الخلافة ولم يسبقوه فى حرب الأعداء فى بدر وأحد؛ إن هذا هو الظلم بعينه، وكانت تلك مصيبة؛ يقول:

غمت مصيبتك الهدى فغدا الـ ** إسلام لا يدرى بما يدرى
وتشعبت طرق الضلال فلو ** لاكم فشوا بالشرك والكفر
أنتم أدلاء الهدى وبكم ** قد سير فى بر وفى بحر

(١) الجم: الكثير، (٢) البلابل: هى الوسواس، (٣) والهجر: الهذيان.

ودعـــــائم التقـــــوى وقادتهـــــا ** للفـــــوز يـــــوم الحشـــــر والنشـــــر
والعـــارفو ســـيما الوجـــوه علـــى الـــ ** أعـــــراف معرفـــــة بـــــلا نكـــــر
ومقاســـــم الـــــنيران أنـــــت لمـــــن ** أخـــــذوا العهـــــود بعـــــالم الـــــذر
فتقـــــول: يـــــا نـــــار اتركـــــى لى ذا ** ولـــــذا خـــــذى: فتـــــدين للأمـــــر

يقول: إنها لمصيبة كبرى أن ترفض وصية الرسول الكريم (ﷺ) لعلى بأن يكون أول خليفة للمسلمين، وأن يكون أبو بكر وعمرهما الرافضين لها فى رأيه؛ لقد عمت هذه المصيبة الإسلام وأهله؛ فتشعبت طرق الضلال بعد ذلك، ولولا آل البيت الكرام بحكمتهم كانوا أدلاء الهدى لعم الشرك والكفر كل الخلق؛ فهم الذين نشروا دين الله فأدوا الأمانة إلى أهلها، وهم دعائم التقوى بهم يفوز المتقون يوم القيامة، وهم على الأعراف يوم الدين والقصاص يعرفون الأحباب فيدخلونهم الجنة، ويدعون الأعداء دعاً إلى النار.

ثم ينتقل الشاعر من مدح حبيب إلى رثاء حبيب آخر من آل البيت الكرام الذين نكبوا من قبل الأعداء، وفى هذه القصيدة يرثى ويمدح السيدة الطاهرة الحبيبة بنت الحبيب فاطمة الزهراء التى وقف على قبرها يناديه ويناجيه برفق؛ فقد ضم رفات خير الأحبة، يمدحها (عليها السلام)؛ فيقول: (من الكامل)

يـــا قـــبر فاطمـــة الـــذى مـــا مثلـــه ** قـــبر بطيبـــة طـــاب فيـــه مبيتـــا
إذ فيـــك حلـــت بضـــعة الهـــادى التـــى ** تجلـــى محاســـن وجههـــا حليتـــا
إن تنـــأ عنـــه فمـــا نأيـــت تباعـــداً ** أو لم تـــبن بـــدراً فمـــا أخفيتـــا
فســـقى ثـــراك الغيـــث مـــا بقيـــت بـــه ** لمـــع القبـــور بطيبـــة وبقيتـــا
فلقـــد برياهـــا ظللـــت مطيبـــاً ** تســـتاف مســـكاً فـــى الأنـــوف فتيتـــا
ولقـــد تأملـــت القبـــور وأهلـــها ** فتشـــتتت فكـــرى بهـــا تشـــتيتا

كـم مقـرب مقصـى وكـم متباعـد ** مـدنى فسـاورت الحشـا عفريتـا

كم من الأحبة وقفوا على القبور يبكون ساكنيها ويرثونهم؛ أما شاعرنا فقد وقف هذه المرة على قبر ليس كالقبور؛ فهو قبر يفخر ويقف شامخاً بين القبور لأنه ضم خير رفات الناس طهراً وعفة وعفافاً وشرفاً؛ رفات بنت المصطفى الكريم الهادى البشير(ﷺ) قبر فاطمة (رضي الله عنها) خير نساء العالمين بشهادة الصادق الأمين؛ لقد ضم القبر من ازداد بها قرباً وشرفاً فلم يبعد عن الأحباب المخلصين، وإذا كان القبر قد أخفى فى جوفه هذا البدر؛ فقد ظهر حسنه وبهاؤه على غيره من القبور، فاستحق هذا القبر أن يظل مروياً بمطر الرحمة وغيث الكرم وأن يظل مطيباً بعرف فاطمة الذكى؛ لقد نظر الشاعر إلى القبور فوجدها تباعدت بأهلها ويعبر عنها أحبابها إلا قبر الحبيبة بنت الحبيب فهو قريب حل بطيبة وسكنها؛ فليس كل بعيد بعيداً وليس كل قريب قريباً.

ونجد الشاعر فى قصيدة أخرى يمدح علياً ويرثى الحسين (رضي الله عنهما)؛ يقول:
(من البسيط)

مـا أنـت منـى ولا ربعـاك لى وطـر ** الهـم أملـك بـى والشـوق والفكـر

وراعهـا أن دمعـاً فـاض منتثـراً ** لا أو تـرى كبـدى للحـزن تنتثـر

أيـن الحسـين وقتلـى مـن بنـى حسـن ** وجعفـر وعقيـل غـالهم غمـر؟

قتلـى يحـن إليهـا البيـت والحجـر ** شـوقاً وتبكـيهم الآيـات والسـور

مـات الحسـين بأيـد مـن مغائظهـا ** طـول عليـه وفـى إشـفاقها قصـر

لادر در الأعـادى عنـدما وتـروا ** ودر درك مـا تحـوين يـا حفـر

لمـا رأوا طرقـات الصـبر معرضـة ** إلى لقـاء ولقيـا رحمـة صـبروا

قـالوا لأنفسـهم: يـا حبـذا نهـل ** محمـد وعلـى بعـده صـدر

ردوا هنيئـــــاً مريئـــــاً آل فاطمـــــة ** حـوض الـردى فارتضـوا بالقتـل واصـطبروا

الحـــوض حوضـــهم، والجـــد جـــدهم ** وعنـــــد ربهـــــم فـــــى خلقـــــه غـــــير

لقد ملك الهم على الشاعر أوطار نفسه حتى شغله عن كل شيء محبب إليه من الحبيبة وربعها الذى تسكنه، وها هى قدرات صدق نفسه فى دموع فاضـــت وانتثرت دليلاً على كبده الحرى التى اعتصرها حزن وكمد على مقتل آل علـــى (كرم الله وجهه) الحسن والحسين وجعفر وعقيل دون ذنب جنـــوه، ولـــو علـــم هـــؤلاء المعتدون أن البيت الحرام والحجر الأسود وغيرها من الأماكن الطاهرة قد حنت شوقاً إلى هذه العترة الذكية، وأن الآيات والسور قد بكت عليهم شفقة بهم وحزناً عليهم، وأن الحفر التى دفنوا فيها قد فازت بضيافتهم؛ لعلموا أنهم قد خسروا كل شيء، وأنهم شر من على وجه الأرض وأرذل من تحت السماء لقد صبر هؤلاء الأخيار الأطهار، فلما فاض صبرهم؛ بل أعرضت عنهم طرقات الصـــبر إلـــى طرق الرحمة صبروا أيضاً فلا شفقة ترتجى من أعدائهم ولا رحمة تنتظر؛ قالوا عندها مالنا لا نفضل صحبة محمد جدنا وعلى أبينا لقد سبقا إلى الجنـــة وشـــربا من أنهارها رضينا بالقتل وصبرنا عليه لنفوز فوزهما.

وهنا يبكيهم الشاعر بكاء مراً لما حدث لهم وهم الشرفاء الأطهار؛ يقول:

أبكـــيكم يـــا بنـــى التقـــوى وأعـــولكم ** وأشـــرب الصـــبر وهـــو الصـــاب والصـــبر

أبكـــيكم يـــا بنـــى بنـــت الرســـول ولا ** عفـــــت محلكـــــم الأنـــــواء والمطـــــر

مـــالى فـــراغ إلى عثمـــان أندبـــه ** ولا شـــجانى أبـــو بكـــر ولا عمـــر

لكـــم عـــدى وتـــيم؛ بـــل أزيـــدكم ** أميـــــة، ولنـــــا الأعـــــلام والغـــــرر

فـــى كـــل يـــوم لقلبـــى مـــن تـــذكرهم ** تغريبـــــة ولـــــدمعى مـــــنهم ســـــفر

موتـــــاً وقـــــتلاً بهامـــــات مفلقـــــة ** مـــن هاشـــم غـــاب عنهـــا النصـــر والظفـــر

كفـــى بـــأن أنـــاة الله واقعـــة ** يومـــاً، ولله فـــى هـــذا الـــورى نظـــر

لقد بكى أبناء التقوى أبناء بنت الهادى البشر النذير، لقد شرب الصبر علـى فراقهم بعد قتلهم؛ لقد استفرغوا كل ما لديه من صبر وألم وحزن حتى لـم يبـق عنده ما يبكى به عثمان أو يندبه، وليس عنده ما يحزنه على أبى بكـر وعمـر، وكل ما يستطيع أن يقدمه فداء لهم هو قبيلة عدى وتيم وأمية، وكلما تذكر مقتـل أحبابه الهاشميين سال دمعه وانفطر قلبه بسبب ما لاقوه من غدر وخيانـة فلـم يجدوا ناصراً ولا معيناً، ولكنه قضاء الله وقدره، ولله فى كونه وخلقـه شـئون لايعلمها إلا هو (ﷻ).

ولم ينسه كل هذا ما حدث لأبيهم الحبيب على (كرم الله وجهه) من قبلهم حين خذلـه أعداؤه وهم أتباعه وجنده فقتل شهيداً؛ يقول:

أنســى عليــاً وتفنيــد الغــواة لــه ** وفــى غــد يعــرف الأفــاك والأشــر

مــن ذا الــذى كلمتــه البيــد والشــجر ** وســلم الــرب إذ نــاداه والحجــر

حتــى إذا أبصــر الأحيــاء مــن يمــن ** برهانــه آمنــوا مــن بعــد مــا كفــروا

أم مــن حــوى قصــبات الســبق دونهــم ** يــوم القليــب وفــى أعنــاقهم زور

أم مــن رســا يــوم أحــد ثابتــاً قــدما ** وفــى حــنين وســلع[1] بعــدما عثــروا

أم من غدا داحياً[2] بـاب القمـوص[3] لهـم ** وفاتحــاً[4] خيــبراً مــن بعــد مــا كســروا

---

(١) سلع: اسم جبل.

(٢) دحا: دفع ورمى.

(٣) القموص: جبل بخيبر عليه حصن أبى الحقيق اليهودى.

(٤) خيبر: مكان ناحية شمال المدينة لمن يريد الشام.

كيف ينسى الإمام علياً يوم أن خاض المعركة وخانه الجند وانصرف عنه الناس وثبت هو يقاتل الأعداء، كيف ينسى هذا الذى كان الله معه ينصره ويعينه لأنه ينصر ربه ويعمل جاهداً عل نشر دينه؛ إن الطبيعة من حوله تجاوبه وتساعده، وكل من دعاه أجابه، وكل بلد يفتحه يدخل أهله فى دينه؛ إنه بطل يوم بدر حين تقدم الصفوف ورمى قتلى قريش فى القليب، ويوم أحد حين فر الجند بعد هجوم خاطف قام به خالد بن الوليد ظل يدافع عن الرسول (ﷺ) ويقاتل المشركين حتى فروا أمامه، إنه بطل يوم حنين وفى خيبر يوم أن اعتلى باب الحصن ودخله وفتح بابه فدخل الجنود المسلمون بعد أن قتلهم اليأس من فتح حصون اليهود ولولا فضل الله (ﷻ) وتوفيق رسول الله(ﷺ) فى اختيار على لهذه المهمة الصعبة ما فتحت خيبر، إنه تاريخ بطل الإسلام وصى رسول الله وحبيبه ومصطفاه وصهره ووالد أحبابه على بن أبى طالب، وهنا يعلنها صريحة مدوية الوصية والموالاة والمعاونة لهذا الوصى الذى أوصى له الرسول من بعده وجعله منه بمنزلة هارون من موسى؛ يقول:

ألـيس قـام رسـول الله يخطـبهم ** وقـال: مـولاكم ذا أيهـا البشـر

أضـبع غـير علـى كـان دافعـه ** محمـد الخـير أم لا تعقـل الحمـر

دعـوا التخـبط فـى عشـواء مظلمـة ** لم يبـد لا كوكـب فيهـا ولا قمـر

الحـق أبلـج والأعـلام واضـحة ** لـو آمنـت أنفـس الشـانين أو نظـروا

ماذا بعد الحق الصريح فى هذه الوصية سوى تنفيذها وإعطاء الحق لأصحابه، وهو إسناد الخلافة لعلى (كرم الله وجهه) وكل هذا لم يحدث، وضرب بوصية الرسول (ﷺ) عرض الحائط وأخذ أبو بكر حقه فصار خليفة للمسلمين دون

على، ومن بعده عمر وعثمان وكان على رابعهم؛ وما كان للحق أن يضيع بين هؤلاء الكبار هداة الخلق، ودعاة الحق صحابة رسول الله (ﷺ).

وفى مرثية له – أيضاً – يرثى ديك الجن الحسين بن على؛ فيقول:

(من الكامل)

أصبحت ملقى فى الفراش سقيما ** أجد النسيم من السقام سموما

ماء من العبرات حرى أرضه ** لو كان من مطر لكان هزيما

وبلابل لو أنهن مآكل ** لم تخطئ الغسلين والزقوما

وكرى يروعنى سرى لو أنه ** ظل لكان الحر واليحموما

عبر الشاعر بصدق عن مكنون صدره من حزن وألم على ما حدث للحسين (عليه السلام) سبط المصطفى عليه الصلاة والسلام عندما قتل وهو ظمآن شر قتلة نالها من هؤلاء السفهاء أعداء الدين، لقد أصيب الشاعر بالسقم والمرض؛ فلا النسيم ظل كما هو، بل صار كالريح السموم التى تشوى الوجوه، وجرت عبراته ساخنة على وجهه كالمطر الغزير الذى لا ينقطع مصحوباً برعد يؤذى الآذان صوته، لقد تجمعت عليه الهموم والأحزان؛ فلو كانت مما يؤكل لكانت زقوماً وغسلينا؛ ناهيك عن نومه الذى ما ذاق له طعماً منذ قتل الحسين، هذا النوم لم يعرف سبيلاً إلى عينيه، ولو كان النوم ظلاً لكان حراً شديداً ويحموماً مؤذياً برائحته وشكله الأسود فلا راحة فيه ولا هدوء معه، كل هذا يتجدد له مع الذكرى المؤلمة التى كلما مرت عليه يتألم ويتجدد حزنه؛ يقول:

مرت بقلبى ذكريات بنى الهدى ** فنسيت منها الروح والتهويما

ونظرت سبط محمد فى كربلا ** فرداً يعانى حزنه المكظوما

تنحو أضالعه سيوف أمية ** فتراهم الصمصوم فالصمصوما

فالجسم أضحى فى الصعيد موزعاً ** والرأس أمسى فى الصعاد كريما

إنها الذكرى التى لا تنسى بل تتجدد دائماً، ومع التجدد ينسى كل شىء جميل يتجدد فى قلبه الحزن والأسى، ويزداد البغض لهؤلاء الأعداء الذين صنعوا فى أحبابه هذا الصنيع المؤلم الذى لا تمحوه الأيام ولا تطمسه السنون والأعوام، وكيف ينسى ما حدث يوم كربلاء يوم أن قتل الحسين وهو يقاسى شدة الظمأ وحيداً شريداً فى يد أعدائه الذين قتلوه ومثلوا بجثته فأصبح رأسه ملقى على الأرض كريماً مطهراً، وجسمه قطعاً قطعاً والدماء تسيل منه تطهر الأرض من نتنهم وحقدهم، لقد حملت رماحهم الرأس الطاهر إلى أعلى حتى وصلوا به إلى سيدهم عدو الله وعدو رسوله (ﷺ)، ثم يتم القصة فى قصيدة أخرى، فيقول راثياً الحسين بن على (رضي الله عنهما) [1]: (من الكامل)

وكأنما بك يا ابن بنت محمد ** قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا ** فى قتلك التنزيل والتأويلا

ويكبرون بأن قتلت وإنما ** قتلوا بك التكبير والتنزيلا

وممن رثاهم من أصدقائه وأحبابه أحمد وجعفر الهاشميين "وكان الشاعر "ديك" الجن محباً لهما، صادقاً فى حبه؛ ولذلك كان موت جعفر ابن على فاجعة صاعقة للشاعر، ولقد رثاه بقصيدة رائعة، تعد من عيون شعر الرثاء؛ لأنه فقد فيه الأخ الحبيب والإمام الهادى، وكان أحمد وجعفر محبين للشاعر وفيين له، وقد كانا من وجوه آل البيت الهاشمى فى بلاد الشام؛ فكان الشاعر يمدح آل

(١) انظر: الديوان ص (١٩١).

البيت فى شخصيهما، وقد رثى جعفراً عندما مات رثاء صادقاً؛ قال فيه: (من الطويل) [1].

على هذه كانت تدور النوائب ** وفى كل جمع للذهاب مذاهب
نزلنا على حكم الزمان وأمره ** وهل يقبل النصف الألد المشاغب؟
وتضحك سن المرء والقلب موجع ** ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب
ألا أيها الركبان والرد واجب ** قفوا حدثونا ما تقول النوادب
إلى فتيان الندى قصد الردى ** وأيهم نابت حماه النوائب
فيا لأبى العباس كم رد راغب ** لفقدك ملهوفاً وكم جب غارب
ويا لأبى العباس إن مناكبا ** تنوء بما حملتها لنواكب

تدور مصائب الدهر ونوائبه على أرواح الناس فتصيبهم فى مقتل، وكل إنسان وأجله المحتوم وسببه الموسوم، فما على المرء إلا الرضا بما قضى الله له وقدر، ومن لا يؤمن بهذا لا يعلم الحقيقة السرمدية.

وكيف يسر المرء ويفرح ويركن إلى السرور وهو يعلم تماماً أنه يوماً ما سيفارق دنياه، وكيف يرضى المرء عن حياته وهو يعلم أن لها نهاية آتية لا محالة، وبعد أن صبر نفسه برضاه بما قدره الله يطلب من أصدقائه ورفاق رحلته أو من يمر عليهم من الركبان أن يخبروه عمن قصده الردى من أهل الكرم والجود، وأيهم نزلت به نازلة الموت؛ هل هو أبو العباس جعفر حبيبه؛ إنها لمصيبة كبرى وفاجعة أليمة تلك التى نزلت بصديقه، لقد ناء بها منكبه حملاً على فقد أعز أحبابه.

(١) انظر الديوان ص (٦٨).

ثم يتوجه كعادة الشعراء بالنداء إلى قبر حبيبه أن يجود بجود ساكنه وكرمه على كل القبور المجاورة له؛ لأن فيه الخير كله، ولو يعقل القبر ذلك لعلم أنه قد ضم كرماً وسماحة وعلواً وشرفاً به تعلو كل القمم فوق الذرى.

يقول:

فيا قبره جد كل قبر بجوده ** ففيك سماء ثرة وسحائب

فإنك لو تدرى بما فيك من علا ** علوت وباتت فى ذراك الكواكب

أخاً كنت أبكيه دماً وهو نائم ** حذاراً وتعمى مقلتى وهو غائب

فمات فلا صبرى على الأجر واقف ** ولا أنا فى عمر إلى الله راغب

أأسعى لأحظى فيك بالأجر إنه ** لسعى إذن منى لدى الله خائب

وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما ** عواقب حمد أن تذم العواقب

يقولون مقدار على المرء واجب ** فقلت: وإعوال على المرء واجب

لقد كان يبكى صديقه إذا نام خوفاً أن يكون فيه موته، وعينه تعمى إذا غاب عنه، فلما مات أصبح فى حيرة من أمره لا يستطيع صبراً على هذا الفراق الأبدى، وهو لا يستطيع أن يلحقه بالموت السريع ليحظى بجواره وصداقته وينال من الأجر ما نال، ولو صنع ذلك لكان فى رأيه سعياً لا أجر فيه ولا ثواب، وفى رأيه أن الإثم لديه فى صبره على فراق حبيبه، ولكن الخبر فى بقايا الحمد، وإذا قال الناس إن كل شىء مقدر على المرء، يقول هو والحزن على الحبيب وفراقه أشد وجوباً عليه. ثم يخبرنا بعد ذلك عن قلبه وما أصابه يوم نعى إليه صديقه وحبيبه، وعن أيامه من بعده كيف صارت، وعن أحواله كيف تغيرت وماذا طلب من دهره؛ يقول:

هو القلب لما حم يوم ابن أمه ** وهى جانب منه وأسقم جانب

ترشفت أيامى وهن كوالح ** عليك وغالبت الردى وهو غالب

ودافعت فى صدر الزمان ونحره ** وأى يد لى والزمان محارب؟

وقلت له : خل الجواد لقومه ** وها أنذا فازدد فإنا عصائب

فو الله إخلاصاً من القول صادقاً ** وإلا فحبى آل أحمد كاذب

لو أن يدى كانت شفاءك وأودمى ** دم القلب حتى يقضب القلب قاضب

لسلمت تسليم الرضا وتخذتها ** يداً للردى ما حج لله راكب

لقد وهى قلبه وأسقم واعتل بسبب هذا الفراق المحتوم لصديق عزيز كان يؤازره ويحميه ويدفع عنه غوائل الأيام، وها هو صار وحيداً لا عون له صارت الأيام كلها مظلمة كالحة السواد وصار هو يغالب الردى مرة وهو غالبه، ويدفع صدر الزمان وهو دافعه لا ناصر ينصره، وكم طلب منه أن يترك مثل هؤلاء الكرماء لذويهم لحاجتهم إليهم، ثم يقسم بالله قسماً لا حنث فيه ولو يفتدى أحد بأحد، وكانت نفسه فداء لصديقه لفعل راضية بذلك نفسه، وهذا دليل واضح على صدقه فى حبه آل البيت الكرام.

وحتى لا يترك لأحد جواباً لو سأل عن سبب كل هذا الحب لهذا الصديق الذى لا تجمعه بصديقه قرابة أو نسب سوى رابطة الدين الصحيحة وعروة العقيدة السليمة حب آل البيت الكرام، أخذ يوضح الأسباب الحقيقية وراء حزنه على صديقه، وألمه على فراقه؛ يقول:

فتى كان مثل السيف من حيث جئته ** لنائبة نابتك فهو مضارب

فتى همه حمد على الدهر رابح ** وإن غاب عنه ماله فهو عازب

شمائل إن يشهد فهن مشاهد ** عظام، وإن يرحل فهن كتائب

بكاك أخ لم تحوه بقرابة ** بلى إن إخوان الصفاء أقارب

وأظلمت الدنيا التى كنت جارها ** كأنك للدنيا أخ ومناسب

يبرد نيران المصائب أننى ** أرى زمناً لم تبق فيه مصائب

كان صديقه مثل السيف؛ ماض حكمه، نافذ أمره، من طلبه لنائبة أو مصيبة أعانه وساعده وأدخله فى حماه، وكان همه القناعة فى حالتى الفقر والغنى، وله صفات حميدة كالصدق والوفاء والأمانة والعدل، ينصف المظلوم حتى من نفسه، يعطى المحروم من ماله؛ لكل هذا استحق من صديقه كل هذا الحزن والبكاء على فقده وفراقه، ولاقرابة هناك ولا نسب بينهما، إنه بذلك يعيد ما كان بين المهاجرين أبناء مكة والأنصار أبناء المدينة جمعهما الدين وربط بينهم برباط عروته الوثقى فآثر الأنصار إخوانهم المهاجرين على أنفسهم رغم الفقر والفاقة: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾**(١).

ويقول فى عزائه جعفر بن على الهاشمى: (من السريع)

نغفل والأيام لا تغفل ** ولا لنا فى زمن موئل

والدهر لا يسلم من صرفه ** أعصم فى القنة مستوعل

يتخذ الشعرى شعاراً له ** كأنما الأفق له ينزل

كأنه بين شناظيرها ** بارقة تكمن أو تمثل

ولا حباب صلتان السرى ** أرقم لا يعرف ما يجهل

فضفاض فيفاء يرى أنه ** بالرمل عان وهو المرمل

---

(١) بعض آية رقم (٩) من سورة الحشر.

يطلب من فاجئة معقلا ** وهو لما يطلب لا يعقل

هذا هو الإنسان سيظل فى هذه الدنيا غافلاً عن تقلبات الأيام، وتغير الأزمان، وكأنه فى ظل الزمن وحماية الأيام، والدهر له بالمرصاد يرميه بالمصائب ويطحنه بالحوادث فلا يسلم من ذلك من ادعى أنه فى حصن حصين حتى لو كان فى أعلى الجبال أو طاول نجوم السماء؛ فكل ما حوله يضره ويؤذيه، وهو غافل عن ذلك يظن أنه فى نجوة منه وهو يحتمى بما يقتله ويقضى عليه؛ يقول:

والدهر لا يسلم من صرفه ** مسربل بالسرد مستبسل

ولا عقنباة السلاقى لها ** فى كل أفق علق مهمل

فتخاء فى الجو خدارية ** كالغيم والغيم لها مثقل

آمن من كان لصرف الردى ** أنزلها من جوها منزل

والدهر لا يحجبه مانع ** يحجبه العامل والمنصل

يصغى جديداه إلى حكمه ** ويفعل الدهر بما يفعل

كأنه من فرط وجد به ** أشوس، إذ أقبل أو مقبل

فى حسب أوفى له جحفل ** يقدمه من رأيه جحفل

هذا الدهر لا يسلم من أحداثه أى مخلوق حتى لو تسربل بسرابيل الحديد، أو دخل أبراجا مشيدة، أو هرب صاعدا فى عنان السماء، إن هذه الطيور بأسرابها تطوف فى طبقات الجو تظن أنها فى مأمن من الدهر؛ لها فى الجو ما يقضى عليها، وهذا أمر مشاهد مع الصائدين لها إما بالبنادق أو النبال أو السهام أو الفخاخ العالية، وأحداث الليل والنهار وما يحدث فيهما سهام معدة للقضاء على

ابن آدم، وكل شيء خاضع لحكم الدهر يفعل به ما يشاء. بعد هذه المقدمة، وهذا المطلع الطويل والحديث عن الدهر وصروفه، تيقن من يسمع الشـاعر أو يقـرأ قصيدته أنه لا مفر من حوادث الدهر ولا مهرب من صروفه، وليعلم أيضـاً أن ما حدث لصديقه هو من هذا النوع؛ فقد فجع فيه بموته، وقد رماه الدهر بسهامه المريشة، واختطفه من يديه؛ فأصبح وحيداً بلا صديق، وفريـداً بـلا حبيـب أو معين فما عليه إلا أن يصبر ويحتسب؛ يقول:

بينـا علـى ذلـك إذ عرشـت ** فـى عرشـه داهيـة ضـئبل

إن يـك فـى العزلـه مشـقص ** مـاض فقـد تـاح لـه مقتـل

جـاد علـى قـبرك مـن ميـت ** بـالروح رب لـك لا يبخـل

وحنـت المـزن علـى قـبره ** بعـارض نجوتـه محفـل

غيـث تـرى الأرض علـى وبلـه ** تضـحك إلا أنـه يهمـل

يصـل والأرض تصـلى لـه ** مـن صـلوات معـه تسـأل

يقص علينا ما حدث لصديقه الذى لم يمهله الدهر حين رماه بهـذه الداهيـة المنية القاتلة التى شطرته بمشقص عزه الذى ظن أنه به فى منعة مـن الـدهر وصروفه، فلا مفر إلا التسليم لقضاء الله وقدره، وهنا يتوجه بالدعاء لـه علـى عادة الشعراء؛ فيطلب له الرحمة من الله (ﷻ)؛ فيجود عليه بالروح والراحة فهو الكريم الذى لا يحرم عباده من رحمته، ويطلب السقيا لقبـره مـن المـزن ذات المطر الغزير الذى تفرح له الأرض إذا نزل عليها كى تتـزين بـأحلى زينـة وتشكر ربها الذى رواها من ظمأ فأنبتت من كل زوج بهيج.

كان عليه أن يصنع ذلك لصديقه الذى كثيراً ما أعانه وساعده كمـا سـاعد الآخرين؛ فمن باب الوفاء دعا له بالرحمة ولقبره بالسقيا يقول:

أنـــت أبـــا العبـــاس عباســـها ** إذا اســـتطار الحـــدث المعضـــل
وأنـــت ينبـــوع أفانينهـــا ** إذا هـــم فـــى ســـنة أمحلـــوا
وأنـــت عـــلام غيـــوب النثـــا ** يومـــا إذا تســـأل أو نســـأل
نحـــن نعزيـــك ومنـــك الهـــدى ** مســـتخرج والنـــور مســـتقبل
نقـــول بالعقـــل وأنـــت الـــذى ** نـــأوى إليـــه وبـــه نعقـــل
نحـــن فـــداء لـــك مـــن أمـــة ** والأرض والآخـــر والأول
إذا غفـــا عنـــك وأودى بهـــا ** ذا الـــدهر فهـــو المحســـن المجمـــل

يتوجه بالتعزية ليذكر الناس بأفضاله وخبراته ومعونته لهم فى أوقات الشدة؛ فهو الذى يرشدهم إلى كل خير ينفعهم وهو مصباح هداية لهم فحـق علـيهم أن يكونوا فداءه من الردى والهلاك. وقد جنح الشاعر إلى الخشونة والتكلف فى هذه القصيدة والدليل هو ما وضع فيها من ألفاظ خشنة متكلفة فى غـرض الرثـاء؛ مثل: القنة، مستوعل، شناظيرها، حباب، صلتان، نضناض، عقنبـاة، السـلاقى، فتخاء، خدارية، أشوس، مشقص، النثا، مما ترتب عليه غموض المعنى وتكلـف الصياغة الأسلوبية وهذا لا يتناسب مع غرض الرثاء.

أدوات الشاعر الفنية فى غرض الرثاء:

لكل صاحب حرفة أدواته التى يعمل بها، ومن هؤلاء الحرفيين الشعراء لهم أدواتهم التى بها ينظمون شعرهم، ويجودون فنهم؛ فما أدوات شاعرنا ديك الجن التى صنع بها ما صنع فى فن الرثاء ورثاء آل البيت على وجـه الخصـوص؟ إجابة عن هذا السؤال نقول: "إن الرثاء يرتبط بالموت؛ فما من حى يرثـى؛ بـل يمدح؛ أما الميت فيمدح رثاء بما كان لديه من صفات حسنة وهو حـى يـرزق، هذا هو الرثاء مذ رثى الشاعر الأول فى العصر الجاهلى، وتـلاه- فـى هـذا-

نظيره فى العصر الأموى، فما من ميت رئيس قبيلة أو أمير أو قائـد جـيش أو خليفة يموت إلا ترى الشعراء ممن يتصلون إليه بسبب يدبجون القصائد لرثائـه، كما دبجوا أمثالها فى مديحه حال حياته ابتغاء نواله؛ من هنا كان الرثاء أصـدق من المديح فى الأعم الأغلب لعدم توافر هذا الهدف، وهو صلة الممدوح وعطاؤه ثم يأتى العصر العباسى، فنجد أنه قد نشط الشعراء فى الرثاء نشاطاً واسـعاً؛ إذ لم يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلا أبنوه تأبيناً رائعاً، وقد صوروا فـى القواد بطولتهم ومحنة الأمة والجيوش فى وفاتهم، وكيف مـلأ مـوتهم القلـوب حسرة وفزعاً. وحقاً رثاؤهم يفيض بالحزن واللوعة، ولكنـه مـع ذلـك يكـتظ بالحماسة والقوة وتمجيد بطولتهم تمجيداً يضرم الحمية فى نفوس الشباب للـدفاع عن العرين حتى الموت، دفاعاً يقوم على أساس البأس والبسالة والبطولة"(١).

ومن أدوات الشاعر الفنية التى كانت بمثابة دوافع وبواعث للشاعر فى هـذا الغرض والتى ظهرت بوضوح فى رثائه آل البيـت الكـرام الصـدق بنوعيـه الشعورى والفنى، ودليلنا على ذلك قوله:

أبكـيكم يـا بنـى التقـوى وأعـولكم ** وأشـرب الصـبر وهـو الصـاب والصـبر

فهو لا يبكى إلا أهل التقوى مصابيح الهدى، وهم أبناء بنت رسول الله (ﷺ) الذين فارقوه وأصابهم ما أصابهم، يكظم غيظه ثم لا يكتفى بهذا؛ بل يشرب على فراقهم مر الشراب وهو الصاب ذو العصارة المريرة، وكأنى بلوعتـه وغيظـه المكظوم على فراقهم صارت حياته كلها أشد مرارة من هذا الشراب؛ لقد عبـر

(١) انظر: ص(١٧٠، ١٧١) العصر العباسى الأول د. شـوقى ضـيف، دار المعـارف ط تاسعة سنة١٩٨٦م.

بصدق عن مكنون صدره، وقد قرب إلينا الصورة المعبرة عن ذلك الشعور الصادق لنشاركه هذا الإحساس الحزين الصادق.

ومن ذلك قوله:

أخا كنت أبكيه دما وهو حاضر ** حذارا وتعمى مقلتى وهو غائب

فمات فلا صبرى على الأجر واقف ** ولا أنا فى عمر إلى الله راغب

وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما ** عواقب حمد أن تذم العواقب

لقد كان يبكى أخاه إذا بعد عنه حال حياته وتعمى عينه من شدة البكاء، فلما مات لم يستطع الصبر، ولا يستطيع أن يخرج من حياته ليلحق به، وهو يشعر بالذنب إذا ادعى صبره على بعده.

ومن ذلك قوله؛ من المنسرح:

من البهاليل آل فاطمة ** أهل المعالى والسادة النجب

كم شرقت منهم السيوف وكم ** رويت الأرض من دم سرب

نفسى فداء لكم ومن لكم ** نفسى وأمى وأسرتى وأبى

لا تبعدوا يا بنى النبى على ** أن قد بعدتم والدهر ذو نوب

الصدق واضح فى هذه الأبيات؛ فهو يبكى أبناء بنت النبى (ﷺ) أهل المعالى والسادة البهاليل الذين قتلوا بسيوف الأعداء فى كربلاء حتى رويت الأرض من دمهم، وها هو يقدم نفسه فداء لهم؛ ليس هو وحده فقط؛ بل يقدم نفسه وأمه وأباه وأسرته كلها فداء لأبناء الحبيبة بنت الحبيب عترة المصطفى وسادة أهل الجنة.

يقول:

يا طول حزنى ولوعتى وتبا ** ريحى ويا حسرتى ويا كربى

لهول يوم تقلص العلم والد ** ين بثغريهما عن الشنب

ذلك يوم لم ترم جائحة ** بمثله المصطفى ولم تصب

يوم أصاب الضحى بظلمته ** وقنع الشمس من دجى الغهب

ينوح بهذه الأبيات على حبيبه الفقيد -على (كرم الله وجهه) ويبث لوعته ويشكو إلى الله ما صنعه الغادرون بعلى إنها لمصيبة كبرى أحزنت المصطفى (ﷺ) وهو يوم أسود حلت به هذه البلوى، فما أطول حزنه ولوعته وتباريحه وحسرته، وما أكثر كربه التى أصابته فيه. وهذا لا يفترق كثيراً عن رثائه ولده الذى مات ودفنه بيده وقال فيه؛ من الكامل:

بأبى نبذتك فى العراء المقفر ** وسترت وجهك بالتراب الأعفر

بأبى نبذتك بعد صون للبلى ** ورجعت عنك صبرت أم لم أصبر

لو كنت أقدر أن أرى أثر البلى ** لتركت وجهك ضاحياً لم يقبر

هذا دليل واضح على صدقه فى رثائه فرغماً عنه فارقه ابنه حبيبه، ورغماً عنه ستر وجهه بالتراب، ورغماً عنه تركه ورجع إلى داره صابراً محتسباً أو غير صابر، وهو الذى كان يتمنى أن لو افتداه بأبيه وبنفسه ولو أراد أن يرى أثر البلى الذى يعترى كل الوجوه المقبورة لترك وجه ولده حبيبه خارج القبر ليكون أمامه تراه عيناه ويأنس به قلبه، لكنها حكمة الرحمن ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾(١).

(١) بعض آية رقم (٤٢) سورة الأنفال.

وقد تناغم الصدقان الشعورى والفنى فجاءت صوره واضحة جلية تشـــرك المتلقى معه فى كل شىء حتى كأنه هو الذى رثى وتألم وعاش مرارة الفـــراق، وشرب كأس الأسى والألم؛ فاليوم الذى أصاب الضحى بظلمته وغطى الشـــمس بثوب الحزن الأسود، والذى قضى على العلم وأصاب الدين بمقتل هـــذا العـــالم على بن أبى طالب، وهذه الدموع دليل الحزن هى دموع من دماء، والعيون التى ذرفتها عميت من طول البكاء عليه وهو لا يستطيع صبراً عليه ويتمنى أن لـــو مات ولحق به كى يفوز بصحبته، وهذا الشراب المر الذى يتجرعه صباح مساء على من فارقه من الأحباب، وهذا البلى الذى أسرع فقدم له ولده وتركـــه معـــه يصنع به ما يشاء، كل هذا فى صدق فنى مؤثر ومثير "والصدق فى التجربة هو الذى يمنحها القوة والقدرة على إثارة القارئ وهز مشاعره، ولا يـــراد بصـــدق التجربة أن تكون مطابقة للواقع والحقيقة؛ بل مطابقة لوجدان الشاعر معبرة عن مشاعره وانطباعاته، مهما كان هذا الوجدان وتلك المشاعر، فإذا خلت التجربـــة من هذا الصدق سقطت قيمتها وكانت زيفاً وبهرجاً"(١).

وهذا السيف الغادر الذى قضى به على (كرم الله وجهه) على أعداء الإسلام فدك بـــه الحصون، وفتح به البلاد، يعود ليكون أداة قتله فيفتك به؛ يقول:

إنـــــا إلى الله راجعـــــون علـــــى ** ســـــهو الليـــــالى وغفلـــــة النـــــوب

غـــــدا علـــــى ورب منقلـــــب ** أشـــأم قـــد عـــاد غـــير منقلـــب

فـــاغتره الســـيف وهـــو خادمـــه ** متـــى يهـــب فـــى الـــوغى بـــه يجـــب

أودى ولـــو مـــد عينـــه أســـد الـــ ** ـــغاب لنـــاجى الســـرحان فـــى الهـــرب

---

(١) انظر: ص٧٧، ٧٨ النقد الأدبى الحديث فى مذاهبه وقضاياه د/عبدالفتاح على عفيفـــى ط ١٩٨٦م.

يعود السيف ليصير أداة غدر وغضب وهلاك هذا الأسد العملاق. وهذا القبر الذى يفخر على جيرانه من القبور بعد ما حلت به فلذة كبد المصطفى الكريم (ﷺ) وريحانته؛ فقد أضيئ بنورها وحسنها، وطيبت أركانه برائحتها الزكية مسكاً وطيباً، صورة جميلة صادقة خرجت بصدق من أعماق شاعر صادق يجيد فن الرثاء؛ يقول:

يا قبر فاطمة الذى ما مثله ** قبر بطيبة طاب فيه مبيتا

إذ فيك حلت بضعة الهادى التى ** تجلى محاسن وجهها حليتا

وهذه الطرقات؛ طرقات الصبر التى أعرضت عن هؤلاء الشهداء أبناء على (رضي الله عنهم) أجمعين لما أعرضت عنهم صبروا وفضلوا صحبة أبيهم وجدهم فوردوا حوض المنية وشربوا كأسها؛ يقول:

لا دردر الأعادى عندما وتروا ** ودردرك ما تحوين يا حفر

لما رأوا طرقات الصبر معرضة ** إلى لقاء ولقيا رحمة صبروا

قالوا لأنفسهم: يا حبذا نهل ** محمد وعلى بعده صدر

ردوا هنيئا مريئا آل فاطمة ** حوض الردى فارتضوا بالقتل واصطبروا

وهذه الهامات العالية التى هوت بسيوف الأعداء دون ذنب ولا جريرة سقطت وكانت عالية؛ كلما تذكرها الشاعر نغصت ذكراها حياته وزادتها مرارة صورها لنا حتى كأننا نراها رؤيا عين؛ يقول:

فى كل يوم لقلبى من تذكرهم ** تغريبة ولد معى منهم سفر

موتاً وقتلاً بها مات مفلقة ** من هاشم غاب عنها النصر والظفر

كفى بأن أناة الله واقعة ** يوماً، ولله فى هذا الورى نظر

ثم يصور مقتل الحسين بن على (رضي الله عنهما) بصدق شعورى وفنى فيقول:

فالجسم أضحى فى الصعيد موزعاً ** والرأس أمسى فى الصعاد كريما

ويقول:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد ** مترملاً بدمائه تترميلا

فالجسم قطع حتى صارت كل قطعة منه فى مكان من الأرض، والرأس وجد فى التراب مختلطاً بالدماء التى روت الأرض؛ صورة صادقة فى مجملها حية مشاهدة لمن لم يحضر الواقعة، وقد شوهدت ممن حضرها.

وها هو يقيم دليلاً على صدقه أيضاً فيطابق بين الصدق الشعورى والصدق الفنى؛ فيقول:

فوا الله إخلاصا من القول صادقا ** وإلا فحبى آل أحمد كاذب

لو أن يدى كانت شفاءك أو دمى ** دم القلب حتى يقضب القلب قاضب

لسلمت تسليم الرضا وتخذتها ** يدا للردى ما حج لله راكب

فيده ودمه الذى به قوام حياته لو كان فيهما شفاء حبيبه أو فداؤه لجاد بهما ونجا حبيبه وسلم، ورضى هو بهذا الفداء ويقسم على ذلك بالله وبمن حج بيت الله الحرام كل عام.

ودليل آخر على صدقه الشعورى وفنه عندما يرثى؛ يقول؛ من الطويل:

شمائل إن يشهد فهن مشاهد ** عظام، وإن يرحل فهن كتائب

بكاك أخ لم تحوه بقرابة ** بلى إن إخوان الصفاء أقارب

وأظلمت الدنيا التى كنت جارها ** كأنك للدنيا أخ ومناسب

يـــبرد نـــيران المصـــائب أننـــى ** أرى زمنـــاً لم تبـــق فيـــه مصـــائب

فالذى يبرد نيران فقده أخاه وحبيبه أنه فى زمن هانت فيه المصائب؛ فكـل مصيبة بعده هينة لأن أخاه كان نور حياته التى أظلمت بعد رحيله.

وعلينا أن نعلم أن التجربة الشعورية الصادقة ذات العاطفة الصادقة باقيـة على مر الزمن مهما تعرضت لها المحن ووقفت أمامها العقبـات، وهـذه قيمـة إنسانية تفيد الحياة وتبرر تعب الشاعر فى تصوير تجربته، وما أصدق شـاعرنا فى تعبيره عن تجربته التى خاضها فى هذا الفن الصادق المؤثر فن الرثاء؛ رثاء آل البيت الكرام الذين ما أحبهم إلا صادق، وما رثاهم إلا مخلص وأمين.

الموسيقى:

ومن أدوات الشاعر الفنية فى هذا الغرض بعد الصدق فى الشعور والتعبير عن تجربته الشعرية عنصر الموسيقا؛ وتتمثل فى الـوزن الشـعرى والقافيـة؛ ويستعان بالموسيقا للتأثير فى المتلقى، ويظهر هذا التأثير فى انسجام المتلقى مـع ما فى البيت من إيقاع منفرد مناسب لما يحمله من معنى أراد الشاعر توصـيله إليه، وما فى القصيدة كلها من إيقاع متناسق مطرد مساو لمعانى أبياتها الكاملـة التى يشعر المتلقى بنهايتها بعد أن تابع القصيدة مـن مطلعهـا، "والشـعراء لا يستخدمون الموسيقى فى شعرهم لغرض الطرب فحسب؛ وإنما هى عنصر مهـم فى تمام التجربة الشعرية ويستخدمونها لتلافى الـنقص فـى تعبيـرهم؛ فشـأن الموسيقى فى ذلك شأن الخيال؛ بل إنهم يستغنون عن الخيال فى بعـض أبيـاتهم لكنهم لا يستغنون عن الموسيقا فى أى جزء من كلامهم؛ فهى والشعر صـنوان مهما تقدم الزمن وارتقى الإنسان[1].

(١) انظر: ص٧٨ النقد الأدبى الحديث فى مذاهبه وقضاياه مرجع سابق.

والشاعر ديك الجن فى هذا الغرض الأصيل (الرثاء) قد استخدم الأوزان المناسبة له كالطويل والكامل والبسيط والسريع والمنسرح والمتقارب والرجز، كما استخدم مجزء الكامل أيضاً فى رثاء آل البيت وفى رثاء على بصفة خاصة؛ يقول:

شرفى محبة معشر ** شرفوا بسورة هل أتى

وولاى فيمن قتله ** لذوى الضلالة أخبتا

واستخدم بحر الرجز فى أرجوزته التى مدح فيها آل البيت؛ يقول:

إن الرسول لم يزل يقول ** والخير ما قال به الرسول

إنك منى يا على الأبى ** بحيث من موساه هرون النبى

لكنه ليس نبى بعدى ** فأنت خير العالمين عندى

واستخدام الكامل مثلاً أو البسيط أو السريع فى مثل هذه الأراجيز لا يستوى ولا يصح، فناسب هذا الغرض وزن الرجز وهو الذى كانت تصنع منه الأراجيز قديماً على يد رؤبة بن العجاج وأبيه وغيرهما.

الصياغة الفنية:

ومن أهم أدوات الشاعر الفنية فى غرض الرثاء الصياغة الفنية، "وهذه الصياغة الفنية هى الطريق إلى إبراز المشاعر التى تعبر بدورها عن شخصية الشاعر، ومن المهم أن تكون تلك الصياغة قادرة على التأثير فى لغتها وصورها، وأن تكون قدرتها مرتبطة بشخصية الشاعر منحدرة من داخله مندمجة فى جوه حتى تبدو مرآة نفسه ومجلى ضميره ومظهر فنه"(١).

(١) انظر: السابق ص(٧٩).

وتبدو الصياغة الفنية فى غرض الرثاء واضحة جلية فى لغتها؛ فالشاعر قد اختار لقصائده فى هذا الغرض من ألفاظ اللغة ما صـور أحاسيسـه ومشـاعره أوضح تصوير فما من قصيدة إلا ظهر فيها الرثاء فى ثوبـه الحقيقـى، ولغـة الشاعر الذى نشأ وترعرع فى أزهى عصور اللغة والأدب جديرة بـأن تسـعف صاحبها وتعينه وتكون طوع أمره ورضاه إذا رثى خير الناس آل البيت الكـرام خاصة، وقد ورث من أسرته وعلماء عصره كماً كبيراً من المعارف؛ أليس هـو القائل مفتخراً؛ (من البسيط):

مـا الـذنب إلا لجـدى حـين ورثنـى ** علمـاً وورثـه مـن قبـل ذاك أبـى

ألم يقل ابن رشيق فى العمدة: "وأبوتمام من المعدودين فى إجـادة الرثـاء، ومثله عبدالسلام بن رغبان، ديك الجن، وهو أشهر فى هذا مـن حبيـب، ولـه طريق انفرد بها"؟

وما ذاك إلا لأنه وغيره من الكبار وجدوا فى شعره صياغة ممتازة تمثلـت فى اللغة الشاعرة التى عبرت أصدق تعبير بألفاظها ومعانيها وخيالها ومحسناتها وحقيقتها ومجازها عن مكنون صدر الشاعر وما حمله مـن حـب صـادق لآل البيت الكرام الذين صنع بهم الأعداء ما صنعوا؛ فهو الذى طلب مـن عينـه أن تبكى عليهم دماً لا دموعاً لأن هناك فرقاً بين بكاء الطـرب وبكـاء المصـيبة؛ يقول:

يـا عـين لا للغضـا ولا الكثـب ** بكـا الرزايـا سـوى بكـا الطـرب

جـودى وجـدى بمـلء جفنـك ثمـ ** ـم احتفلـى بالـدموع وانسـكبى

يـا عـين فـى كـربـلا مقـابر قـد ** تـركن قلبـى مقـابر الكـرب

ويقول:

أخـا كنـت أبكيـه دمـاً وهـو حاضـر ** حـذاراً وتعمـى مقلتـى وهـو غائـب

فمـات فـلا صـبرى علـى الأجـر واقـف ** ولا أنـا فـى عمـر إلى الله راغـب

ومـا الإثـم إلا الصـبر عنـك وإنمـا ** عواقـب حمـد أن تـذم العواقـب

ثم يصف قلبه وما ضمه من حزن وألم على فقد أحبابه؛ فيقول:

هـو القلـب لمـا حـم يـوم ابـن أمـه ** وهـى جانـب منـه وأسـقم جانـب

ترشـفت أيـامى وهـن كـوالح ** عليـك وغالبـت الـردى وهـو غالـب

ودافعـت فـى صـدر الزمـان ونحـره ** وأى يـدلى والزمـان محـارب

وعن قلبه يقول أيضاً:

فـى كـل يـوم لقلبـى مـن تـذكرهم ** تغريبـة، ولـدمعى مـنهم سـفر

موتـاً وقـتلاً بهـا مـات مفلقـة ** مـن هاشـم غـاب عنهـا النصـر والظفـر

ثم ينادى القبر الذى ضم رفاتاً طاهرا؛ يقول:

يـا قـبر فاطمـة الـذى مـا مثلـه ** قـبر بطيبـة طـاب فيـه مبيتـا

إذ فيـك حلـت بضـعة الهـادى التـى ** تجلـى محاسـن وجههـا حليتـا

إن تنـأ عنـه فمـا نأيـت تباعـدا ** أولم تـبن بـدرا فمـا أخفيتـا

وينادى قبراً آخر؛ فيقول:

فيـا قـبره جـد كـل قـبر بجـوده ** ففيـك سمـاء ثـرة وسـحائب

فإنـك لـو تـدرى بمـا فيـك مـن عـلا ** علـوت وباتـت فـى ذراك الكواكـب

ويذكر البكاء والنواح والعويل، وما يدل عليها من ألفاظ اللغة، وهذا مناسب لغرضه الأصيل؛ فيقول:

أبكيكم يا بنى التقوى وأعولكم ** وأشرب الصبر وهو الصاب والصبر

أبكيكم يا بنى بنت الرسول ولا ** عفت محلكم الأنواء والمطر

ويقول:

أخا كنت أبكيه دما وهو حاضر ** .....

ويقول:

يقولون: مقدار على المرء واجب ** فقلت: وإعوال على المرء واجب

نعم إن الموت مقدر على المرء وواجب عليه الإيمان بذلك، وواجب على أحبابه البكاء والعويل؛ فقد فطرت الطباع على ذلك" "إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون"(١). صدق الرسول الكريم.

ومنه استخدامه ياء النداء وحروف المد فى كثير من الكلمات فى البكاء والعويل والتعبير عن الحزن الدفين والألم الموجع؛ يقول:

يا طول حزنى ولوعتى وتبا ** ريحى ويا حسرتى ويا كربى

لهول يوم تقلص العلم والدّ ** ين بثغريهما عن الشنب

ويقول:

يا نفس لا تسأمى ولا تضقى ** وارسى على الخطب سورة الهضب

صونى شعاع الضمير واستشعرى ** الصبر وحسن العزاء واحتسبى

ويستخدم أيضاً- "وا" الندبة، وأدوات التعجب والاستفهام فى هذا الغرض؛ فيقول من مجزوء الرجز:

---

(١) انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى باب الجنائز.

وا حسـرتا مـن غصـبه ** وسـكوته وا حسـرتا

طالـت حيـاة عـدوه ** حتـى متـى؟ وإلى متـى؟

وما ذاك إلا ليتحسر على هذا الحق المغتصب والسكوت المفروض، كما يتحسر على طول حياة المغتصبين ويستبعد أن يردوا الحق لأصحابه.

وقد يؤثر الشاعر- أحياناً- أسلوب الاستفهام ليبرز من خلاله عواطفه ومشاعره؛ كأن يقصد به الرجاء، أو التحسر، أو الإنكار أو التعجب، أو الحيرة، أو التردد، أو غير ذلك من المعانى المجازية مثل قول الشاعر:

وآلمنـى وآلم كـل حـر ** سـؤال الـدهر: أيـن المسـلمونا؟[1]

ويستخدم- أيضاً- من ألفاظ اللغة ما يدل على الألم والهم والغم؛ والحزن والشوق والفكر والسقم والعبرات الحرى.

فيقول:

مـا أنـت منـى ولا ربعـاك لى وطـر ** الهـم أملـك بـى والشـوق والفكـر

وراعهـا أن دمعـا فـاض منتثـراً ** لا أوتـرى كبـدى للحـزن تنتثـر

ويقول:

أصـبحت ملقـى فـى الفـراش سـقيما ** أجـد النسـيم مـن السـقام سمومـا

مـاء مـن العـبرات حـرى أرضـه ** لـو كـان مـن مطـر لكـان هزيمـا

وبلابـل لـو أنهـن مآكـل ** لم تخطـئ الغسـلين والزقومـا

---

(١) انظر: ص (٨٠) دراسات فى النص الأدبى (العصر الحديث)، د/محمد عارف محمود حسين، د/حسين على محمد، مطابع الوفاء بالمنوفية سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

وكـــرى يروعنـــى ســـرى لـــو أنـــه ** ظـــل لكـــان الحـــر واليحمومـــا

ويستخدم من ألفاظ اللغة "المصـــائب" و"الـــدواهى" و"النوائـــب" و"الـــدهر" و"الروى"؛ فيقول:

علـــى هـــذه كانـــت تـــدور النوائـــب ** وفـــى كـــل جمـــع للـــذهاب مـــذاهب

نزلنـــا علـــى حكـــم الزمـــان وأمـــره ** وهـــل يقبـــل النصـــف الألـــد المشـــاغب؟

وتضـــحك ســـن المـــرء والقلـــب موجـــع ** قفـــوا حـــدثونا مـــا تقـــول النـــوادب

إلى أى فتيـــان النـــدى قصـــد الـــروى ** وأيهـــم نابـــت حمـــاه النوائـــب

التشخيص:

وكما نادى من لا يعقل كالنفس والقبر والعين؛ أيضاً نجـــده ينـــادى العاقـــل المقبور البعيد كأنه أمامه يراه ويخاطبه؛ فيقول:

يـــا صـــفوة الله فـــى خلائقـــه ** وأكـــرم الأعجمـــين والعـــرب

أنـــتم بـــدور الهـــدى وأنجمـــه ** ودوحـــة المكرمـــات والحســـب

وساســـة الحـــوض يـــوم لا نهـــل ** لمـــورديكم مـــوارد العطـــب

ويقول:

يـــا ســـيد الأوصـــياء والعـــالى الحـــ ** ـــجة والمرتضـــى وذا الرتـــب

إن يســـر جـــيش الهمـــوم منـــك إلى ** شمـــس منـــى والمقـــام والحجـــب

فربمـــا تقعـــص الكمـــاة بأقـــ ** ـــدامك قعصـــا يجثـــى علـــى الركـــب

ويقول:

فيـــا لأبـــى العبـــاس كـــم رد راغـــب ** لفقـــدك ملـــهوفاً وكـــم جـــب غـــارب

ويـــا لأبـــى العبـــاس إن مناكبـــاً ** تنـــوء بمـــا حملتهـــا لنواكـــب

فقد ناداهم ورثاهم وخاطبهم كأنهم أمامه يراهم ويرونه وكأنهم بهـذا علـى رغم موتهم منذ زمن لم يبعدوا عنه ولم تغيبهم القبور فهم معه دائماً.

وفى هذا الغرض أيضاً يطلب الشاعر على عادة الشعراء السـابقين يطلـب السقيا للقبر من السماء غيثاً ومطراً، ومن الله لساكنيه رحمة وجنة نعيم؛ يقول:

جـــاد علـــى قـــبرك مـــن ميـــت ** بـــالروح رب لـــك لا يبخـــل

وحنـــت المـــزن علـــى قـــبره ** بعـــارض مـــن نجوتـــه محفـــل

غيـــث تـــرى الأرض علـــى وبلـــه ** تضـــحك إلا أنـــه يهمـــل

يصـــل والأرض تصـــلى لـــه ** مـــن صـــلوات معـــه تســـأل

ويقول:

فسـقى ثـراك الغيـث مـا بقيـت بـه ** لمـــع القبـــور بطيبـــة وبقيتـــا

فلقـــد برياهـــا ظللـــت مطيبـــا ** تســـتاف مســـكاً فـــى الأنـــوف فتيتـــا

وتعتمد الصياغة الفنية على تحريك الجمادات وتجسيد المعـانى والأفكـار؛ فالزمان يحكم ويأمر، والدهر يتصرف فـى الخلـق، والـردى يقتـل ويميـت، والنوائب تدور وتصيب فى مقتل؛ يقول:

علـــى هـــذه كانـــت تـــدور النوائـــب ** وفـــى كـــل جمـــع للـــذهاب مـــذاهب

نزلنـــا علـــى حكـــم الزمـــان وأمـــره ** وهـــل يقبـــل النصـــف الألـــد المشـــاغب

ويقول:

إلى أى فتيـــان النـــدى قصـــد الـــردى ** وأيهـــم نابـــت حمـــاه النوائـــب

وكذلك تشرق السيوف بالدماء، والدماء تروى بها الأرض؛ يقول:

كم شرقت منهم السيوف وكم ** رويت الأرض من دم سرب

وكذلك يسير جيش الهموم؛ فينير فى نفسه الألم والحزن؛ يقول:

إن يسر جيش الهموم منك إلى ** شمس منى والمقام والحجب

فربما تقعص الكماة بأقـ ** ـدامك قعصا يجثى على الركب

وكذلك ربع الهموم فى حاجة إلى الرى بالدمع المنسكب عليه؛ يقول:

تمرى عيوناً على أبى حسن ** محفوفة بالكلوم والندب

تغمر ربع الهموم أعينها ** بالدمع حزناً لربعها الخرب

وكذلك رحى الموت تدور وتستدير بها النفس المكلومة وهى تئن؛ يقول:

تئن والنفس تستدير بها ** رحى من الموت مرة القطب

لهفى لذاك الرواء أم ذلك الـ ** ـرأى، وتلك الأنباء والخطب

وكذلك عارض الحمام المنسكب الذى لا مفر منه؛ يقول:

ورب مقورة ململمة ** فى عارض للحمام منسكب

فللت أرجاءها وجحفلها ** بذى صقال كوامض الشهب

وكذلك الأيام التى ترشفها وهى مظلمة، والردى الذى غالبه وصدر الزمان الذى دفعه فى نحره حين حاربه؛ يقول:

ترشفت أيامى وهن كوالح ** عليك وغالبت الردى وهو غالب

ودافعت فى صدر الزمان ونحره ** وأى يدلى والزمان محارب؟

ومن مقومات الصياغة الفنية ما يعتمد عليه الشاعر من محسنات لفظية ومحسنات معنوية لتزيد الأسلوب جمالاً بما تحمله من موسيقا لفظية أو معنوية، وهذه المحسنات قد أتت عرضاً فى غرض الرثاء لدى الشاعر ديك الجن أى لم يتعمدها تعمداً، ومنها على سبيل المثال المطابقة بين معنيين وهو ما يسميه البلاغيون "الطباق" أى تطابق وتقابل بين معنيين متضادين؛ ومنه قول ديك الجن:

أخاً كنت أبكيه دما وهو حاضر ** حذارا وتعمى مقلتى وهو غائب

فيطابق الشاعر بين قوله: "حاضر"، و"غائب" فبين الحالين تضاد معنوى يدل على أن أخاه معه دائماً يبكيه حاضراً، وتعمى عينه وهو غائب عنه والضد كما يقال يظهر حسنه الضد، ومثاله- أيضاً"- قول الشاعر:

يوم أصاب الضحى بظلمته ** وقنع الشمس من دجى الغهب

طابق بين قوله: "الضحى" و"الدجى" فبينهما تضاد أى تقابل معنوى؛ فالمصيبة فى هذا اليوم يوم مقتل على (كرم الله وجهه) أصابت كل شىء وفى كل وقت من ليل أو نهار.

ومثاله قوله فى مقتل الحسين بن على (رضى الله عنهما):

فالجسم أضحى فى الصعيد موزعاً ** والرأس أمسى فى الصعاد كريما

فبين قوله: "أضحى" و"أمسى" طباق أى تقابل بالتضاد بين معنى اللفظين وضح لنا فيه مكان الجسم ووقته الذى قطع فيه، ومكان الرأس الطاهر ووقته الذى عثر عليه فيه؛ ليدل على أن حزنه لم ينقطع فى وقت الضحى ولا فى وقت المساء.

ومنه أيضاً قوله:

شمائل إن يشهد فهن مشاهد ** عظام وإن يرحل فهن كتائب

فهذه المكارم والخصال الحميدة ثابتة له فى كل حال والطباق بين قوله: "يشهد"، و"يرحل" طابق بالتضاد بين المعنيين ليزيد المعنى قوة وتوضيح تأكيد.

ومنه قوله:

نحن فداء لك من أمة ** والأرض والآخر والأول

فقد وضع الكل فداءه؛ الأمة والأرض والأول من الناس والآخر منهم فطابق بين "الأول" و"الآخر" فى المعنى عن طريق التضاد، ليفيد العموم والتأكيد.

ومنه قوله:

حتى إذا أبصر الأحياء من يمن ** برهانه آمنوا من بعد ما كفروا

طابق بين قوله: "آمنوا"، و"كفروا" فى المعنى عن طريق التضاد بينهما ليفيد أنهم جميعاً دخلوا فى الإسلام بعد الكفر لما رأوا دليل الإيمان واضحاً.

ومنه قوله:

أصبحت جم بلابل الصدر ** وأبيت منطويا على الجمر

إن بحت يوماً طل فيه دمى ** ولئن كتمت يضق به صدرى

طابق بين قوله: "أصبحت"، و"أبيت" عن طريق التضاد بين المعنيين ليدل على حيرته وألمه فى الصباح والمساء؛ فهو لا يستقر له حال، ولا يهدأ له بال بسبب ما أصابه لفقد حبيبه، وطابق- أيضاً- بين قوله: "بحت" و"كتمت" عن طريق التضاد فى المعنى ليدل على أنه بين حالتين اثنتين؛ إن صرح بما فى قلبه

وهو سخطه على بنى أمية الذين اغتصبوا حق غيرهم قتل، وإن كتم ذلك ضاق به صدره، وفى هذا من التوضيح والتأكيد ما فيه.

ومن ذلك الطباق أيضاً ما يسميه البلاغيون طباق السلب والإيجاب ومنه قول ديك الجن فى مقتل على ورثائه:

غدا على ورب منقلب ** أشأم قد عاد غير منقلب

طابق فيه بين قوله: "منقلب"، و"غير منقلب" فاللفظ الأول معناه ثابت موجب واللفظ الثانى منفى بأداة النفى "غير" وهذا لون من الطباق جميل يعتمد على أدوات النفى ومنه قوله (ﷻ): ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾(١). فقوله "يعلمون" الأول مثبت موجب وقوله: "لا يعلمون" منفى بلا فتقابل المعنيان تقابل سلب وإيجاب ولفظ الطباق واحد لا تضاد فيه.

ومن المحسنات المعنوية أيضاً التى وردت فى شعر ديك الجن وفى غرض الرثاء ما أطلق عليه البلاغيون "المقابلة ومعناها مقابلة معنيين متضادين بآخرين متضادين، وقد أتى هذا اللون فى شعر "ديك الجن" وهو يرثى آل البيت فى قوله:

كم مقرب مقصى وكم متباعد ** مدنى فساورت الحشا عفريتا

فقوله: "مقرب مقصى" يحمل معنيين طابق بينهما وبين قوله: "متباعد مدنى" ومعنى طابق أى قابل وهى مقابلة بين معنيين فى مقابلة معنيين كل معنى منهما يقابل الآخر عن طريق التضاد، وما صنع ذلك إلا ليدل على أن الفقيد الحبيب يختلف عن غيره؛ فهو قريب إلى نفسه وقلبه مهما بعد ومهما واراه التراب؛ أما غيره فقد يكون قريباً وهو بعيد عن قلبه وخاطره.

---

(١) بعض آية رقم (٩) سورة الزمر.

ومن المقابلة قوله:

مات الحسين بأيد من مغائظها ** طول عليه وفى إشفاقها قصر

قابل بين حالتى اليد الغادرة؛ فهى من مغائظها طويلة؛ طالت فقتلته، وهى قصيرة فى شفقتها عليه ليعلم المتلقى أن يد الآثمين آثمة فى حالتيها لم تشفق عليه وترحمه؛ بل طالت حتى قتلته، وقصرت فى رحمته، "ومعلوم أن هذا اللون من المحسنات المعنوية طباقاً كان أو مقابلة يؤكد المعانى ويقويها ويزيدها وضوحاً وثباتاً فى ذهن المتلقى، فالضد يظهر حسنه الضد عند وروده على الذهن؛ فهو يعكس الانفعالات والأحاسيس، دون قصد أو تعمد، وتبدو قيمته فى النص الأدبى بما يثير من مشاعر المواقف المضادة، ويظهر من عواطف خلال الروابط البعيدة، مما يؤدى إلى إيقاع صوتى له رنين موسيقى يثير القارئ، ويوقظ نفسه، ويعمق شعوره بالمعنى من خلال المجاورة بين الضدين[1].

ومن المحسنات اللفظية التى تحدث فى الأبيات جرساً موسيقيا جميلاً وتعد من مقومات الصناعة الفنية فى غرض الرثاء "الجناس" ومعناه اتحاد اللفظين فى الحروف كلها أو بعضها واختلافهما فى المعنى والصياغة.

ومثال ذلك قول ديك الجن:

فيا لأبى العباس كم رد راغب ** لفقدك ملهوفاً وكم جب غارب

ويا لأبى العباس إن مناكبا ** تنوء بما حملتها لنواكب

فبين قوله: "راغب"، و"غارب" جناس اتفق اللفظان فى كل الحروف مع اختلاف الصيغة، وبين قوله: "مناكب"، و"نواكب" جناس أيضاً كسابقه، ويلحظ

(١) انظر: ص(٢٠٧) موسيقا أوزان الشعر العربى دراسة تطبيقية، د/سيد مرسى أبوذكرى طبعة سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م. رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠٢/٣٩٢٥م.

قارئ البيت ما فيه من الموسيقا التى تحققت من هـذا الاتفـاق فـى الحـروف واختلاف فى الصيغة على الرغم من اختلاف المعنى مما يثير انتباهـه وتلـذذه بالبيت لفظاً ومعنى وبهذا يكتمل البناء الفنى وتتم الصياغة الشعرية.

ومثله أيضاً قوله:

فيـا قـبره جـد كـل قـبر بجـوده ** ففيـك سمـاء ثـرة وسـحائب

فإنـك لـو تـدرى بمـا فيـك مـن عـلا ** علـوت وباتـت فـى ذراك الكواكـب

فبين قوله: "جد"، و"بجوده" جناس، وبين قوله: "علا"، وقوله: "علوت" جناس أعطى البيت لوناً من الموسيقا فى تكرار الحروف فى اللفظين واختلاف المعنى.

ومثله قوله:

لـو أن يـدى كانـت شـفاءك أو دمـى ** دم القلـب أو يقضـب القلـب قاضـب

لسـلمت تسـليم الرضـا وتخـذتها ** يـداً للـردى مـا حـج لله راكـب

فبين قوله: "يقضب"، و"قاضب" جناس، وبين قوله: "سلمت"، و"تسليم" جناس أشاع هذا الجناس فى البيتين جرساً موسيقياً جميلاً جاء من تكرار الحروف فـى الألفاظ مع اختلاف المعانى بينها.

ومثله قوله:

وعلـى الخلافـة سـابقوك ومـا ** سـبقوك فـى أحـد ولا بـدر

فبين قوله: "سابقوك"، وقوله: "سبقوك" جناس فيه من الموسيقا التى جـاءت من تكرار الحروف فى اللفظتين مع اختلاف الصيغة والمعنى.

ومثله قوله:

ودعـــــائم التقـــــوى وقادتهـــــا ** للفـــــوزيـــــوم الحشـــــر والنشـــــر

فبين قوله: "الحشر"، و"النشر" جناس وفر للبيت من الموسيقا الجميلة التـــى نتجت من تكرار بعض الحروف واختلاف بين المعنيين ويوم الحشر والنشر هو يوم القيامة؛ وبه اجتمع للبيت ميزتان؛ الأولى اجتماع المعنيين، والثانية موســيقا اللفظتين التى لا يستغنى عنها الشعر. ولا يتوافر ذلك إلا للشعراء الكبار.

ملاحظات عامة على غرض الرثاء فى شعر ديك الجن

نلحظ أن ديك الجن فى رثائه آل البيت الكرام يعلن التسليم والرضا بما قضى الله عليهم وقدر من قتل واستشهاد وضياع حقهم فى الخلافة وقيادة المسلمين؛ فمثلاً نجده يقول:

يا نفس لا تسأمى ولا تضقى ** وارسى على الخطب رسوة الهضب

صونى شعاع الضمير واستشعرى ** الصبر وحسن العزاء واحتسبى

فالخلق فى الأرض يعجلون ومو ** لاك على توأد ومرتقب

فالرضا والتسليم بما قضى الله وقدر واجب على كل مسلم، وما حدث لآل البيت قضاء واقع وقدر محتوم لا مفر منه؛ فالشاعر لم يطلب من نفسه سوى الرضا بهذا، وألا تعجل الجزاء ولا تتعجل، وألا تيأس ولا تضق ذرعاً بما حدث ظلماً لهم؛ فالله (ﷻ) سيقيم العدل ويأخذ القصاص للمظلوم من ظالمه، فما على النفس إلا الصبر وحسن العزاء والتسليم والرضا.

يقول أيضاً بما تعلمه من كلام رب العالمين:

إنا إلى الله راجعون على ** سهو الليالى وغفلة النوب

علامة الرضا وسيما التسليم لقضاء الله وقدره ينطق بها هذا البيت وينطق بها المسلمون فى كل وقت عند نزول المصائب؛ فالكل لله وإليه راجع مهما طالت الأيام والأعمار.

ويقول:

نزلنا على حكم الزمان وأمره ** وهل يقبل النصف الألد المشاغب؟

وتضحك سن المرء والقلب موجع ** ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب

ففيه الرضا والتسليم التام لمن رضى بحكم الزمان وخضع لأمره، ولا يشذ عن هذا أحد حتى الألد المشاغب، بدليل رضى الإنسان عن صروف دهره وقلبه يتوجع ويتألم.

ويقول:

أودى على صلى على روحه ** الله صلاة طويلة الدأب

وكل نفس لحينها سبب ** يسرى إليها كهيئة اللعب

فيه الرضا ظاهر، والتسليم لأمر الله وقضائه واضح؛ فكل نفس ذائقة الموت، ولها حين يأتى فيه سبب هلاكها وفنائها؛ يأتيها من حيث لا تدرى أفى الصباح أم فى المساء، فى البر أم فى البحر أم فى الجو، صغيراً كان المرء أم كبيراً، قوياً كان أم ضعيفاً، صحيحاً كان أم مريضاً.

ويقول أيضاً:

كفى بأن أناة الله واقعة ** يوما، ولله فى هذا الورى نظر

نعم إن حكم الله واقع، وقدره محتوم، هذا يجعل المرء يرضى ويسلم بهذا القضاء؛ فلله فى خلقه شئون وتصاريف لا يشذ عنها أحد من خلقه.

نلحظ أيضاً: حب الشاعر "ديك الجن" لآل البيت الكرام، ووقوفه بجوارهم، ومناداته بحقهم فى الخلافة، والدعاء على من سلبهم هذا الحق، وإضمار الغيظ والحقد له؛ فنجده يقول:

نفسى فداء لكم ومن لكم ** نفسى وأمى واسرتى وأبى

لا تبعدوا يا بنى النبى على ** أن قد بعدتم والدهر ذو نوب

ويقول:

فكـرت فـيكم وفـى المصـاب فمـا انــ ** ـــفك فـــؤادى يعـــوم فـــى عجـــب

مـــا زلـــتم فـــى الحيـــاة بيـــنهم ** بـــين قتيـــل وبـــين مســـتلب

يقول:

لا بـــد أن يحشـــر القتيـــل وأن ** يســـأل ذو قتلـــه عـــن الســـبب

فالويـــل والنـــار والثبـــور لمـــن ** قـــد أســـلموه للجمـــر واللـــهب

ويقول:

أبكـيكم يـا بنـى التقـوى وأعـولكم ** وأشـرب الصـبر وهـو الصـاب والصـبر

أبكـيكم يـا بنـى بنـت الرسـول ولا ** عفـــت محلكـــم الأنـــواء والمطـــر

نلحظ أيضاً: تحامل "ديك الجن" على الصديق أبى بكر وعلى عمر (رضي الله عنهما)، واتهامهما بسلب حق على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) ورضى الله عنه- فى الخلافة، وادعاء وصية الرسول (ﷺ) لعلى بها فى رواية: "يا على أنت منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى"(١). وأن الرسول (ﷺ) قد طلب منهما أن يكتب وصيته لعلى فأبيا ذلك فلم يكتب. ولو أنه علم أن علياً لم يطالب الصديقين بالخلافة ولم يعلن حقه فيها؛ بل أقر أبا بكر فى خلافة المسلمين وبايعه ثم بايع عمراً بها من بعده، ثم أقر عثمان(رضي الله عنه) فيها، والخلفاء الكرام لم يطلبوها من رسول الله(ﷺ) بعده، والشاعر نفسه يقول ذلك:

إنـــك منـــى يـــا علـــى الأبـــى ** بحيـــث مـــن موســـاه هـــرون النبـــى

لكنـــه لـــيس نبـــى بعـــدى ** فأنـــت خـــير العـــالمين بعـــدى

(١) انظر: فتح البارى شرح البخارى كتاب المغازى.

فلا نبى بعد رسول الله (ﷺ)، وقوله: فأنت خير العالمين بعدى ليس معناه أنت الخليفة أو خليفة المسلمين من بعدى، وعلى (رضي الله عنه) و (كرم الله وجهه) يعلم تمام العلم كيف كان الرسول (ﷺ) يكرم أبا بكر الصديق فقد كان ثانى اثنين إذ هما فى الغار. وكان يصلى بالمسلمين فى حال غياب رسول الله (ﷺ) عن المدينة، وفى حال مرضه (ﷺ)، ولم يطلب أبوبكر من رسول الله (ﷺ) المصاهرة عندما طلب الرسول (ﷺ) عائشة ابنته للزواج، ولم يصنع ذلك عمر بن الخطاب بل الرسول (ﷺ) طلب منهما ذلك، ولو طلبا منه المصاهرة لكان ذلك دون هدف يريدون الوصول إليه وهو الخلافة كيف والخلافة تكليف ومسئولية وأمانة لا يقوم بها إلا الأقوياء ومن يستحقونها.

لقد طلب أبوذر الإمارة من رسول الله (ﷺ) فقال له (ﷺ): يا أبا ذر إنها أمانة وإنها تأتى يوم القيامة حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها. ولقد قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): لو عثرت سخلة بشاطئ دجلة لسألنى ربى عنها لم لم تسو لها الطريق، ولو أن "ديك الجن" صفى ونقى شعره من هذه التهمة وذلك الادعاء لسما بشعره عنان السماء؛ ولكنه لف لف من تبنى هذه الفكرة وتشيع لآل البيت المطالبين بحقهم فى الخلافة من بنى عمومتهم آل العباس، فظهر ذلك واضحاً فى شعره وبخاصة غرض الرثاء محل هذه الدراسة الذى لم يكن رثاء خالصاً؛ بل قرنه بعقيدته وفكره؛ حيث البكاء والعويل على فراقهم، وعلى ضياع حقهم، ولو أنه وقف شعره على رثائهم حباً فيهم وتقديراً لمنزلتهم الكريمة كما هى فى قلب كل مسلم لما وجهنا إليه مثل هذا النقد، فى الوقت الذى نبرئ فيه الصديقين أبابكر وعمر (رضي الله عنهما) من هذه التهمة؛ لأنهما لم يكتما شيئاً من سنة رسول الله (ﷺ) القولية والفعلية والتقريرية، ولم يتوانيا لحظة أو هنيهة فى تنفيذ أية وصية وصى بها رسول الله (ﷺ). إنه وهو فى مرض موته عندما قال: "أنفذوا بعث

أسامة، أنفذوا بعث أسامة"[1]. أنفذه الصديق أبوبكر (ﷺ) بعد دفن المصطفى (ﷺ) مباشرة، وكان الجيش متوجهاً إلى الشام لحرب الروم. ولو أوحى رسول الله (ﷺ) لعلى (ﷺ) و(ﷺ) بالخلافة تصريحاً أو تلميحاً، لكان أبوبكر وعمر (ﷺ) أول من أعلن ذلك على الصحابة وبايعاه عليها وأخذا له البيعة من كل المسلمين؛ ولكن كل ذلك لم يحدث، وعلى نفسه- كما قلنا- يعلم أن حبيبه ارتضى أبابكر إماماً للمسلمين فى أيام مرضه (ﷺ) وهو الذى صدقه فى خبر الإسراء والمعراج عندما كذبه الناس، وهو صاحبه فى الهجرة وثانى اثنين إذ هما فى الغار، وأنه صلى خلفه فى مسجده الشريف والمسلمون رأوا ذلك فاختاروه خليفة لهم بالإجماع العام فى دار السقيفة.

وعلى الرغم من كل هذا؛ فإن شعر ديك الجن فى غرض الرثاء كان فى قمة أغراضه الأخرى بما ظهر فيه من صدق التعبير عن شعوره وتجربته فى هذا الغرض، وبما فيه من صدق فنى شعرى أصيل قام على الحقيقة والخيال وجمال التصوير وروعة الأداء والتعبير، وسلامة الموسيقا والوضوح التام فى المعانى وعدم المبالغة فى الوصف، وكأنى به كان ينوح بشعره ومعه كل من أحب آل البيت الكرام وتأثر بما حدث لهم من قتل وتشريد، وهم صفوة الخلق، ولم يحدث لأحد مثل ما حدث لهم، وكأنى به- أيضاً- كان يخرج من عينيه مع كل حرف صاغ منه شعره فى هذا الغرض دمعة حرى، وآهة ملتاعة فذرفنا نحن معه دموعنا عندما قرأناه وسمعناه ودرسناه واستخرجنا من بحره الدر واللآلئ الثمينة، جزاه الله عن آل البيت الكرام، وبما قال فيهم من خير الكلام وحسن النظام خير الجزاء، وجعل ذلك الخير فى ميزان حسناته يوم الدين، إنه ولى ذلك والقادر عليه وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب المغازى.

خاتمة البحث

وبعد؛

فهذه رحلة فى أصدق الأغراض الشعرية "الرثاء" رثاء آل البيت الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من شعر شاعر الشام "ديك الجن" عبدالسلام ابن رغبان الذى أخلص فى حبه لهم، وصدق فى رثائهم أحسن الصدق، وفى الدراسة ظهر ذلك من خلال إلقائنا الضوء على محاور هذا الغرض من شعره؛ فقد مدح ورثى بإخلاص ورضى وحب وصدق، حتى ليخلط القارئ بين مدحه ورثائه؛ فإذا مدح رثى وإذا رثى مدح؛ فآل البيت لديه ولدى كل مؤمن صادق ﴿**أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(١)، فكل مديح لهم رثاء وكل رثاء لهم مديح؛ ناداهم فى رثائه كأنهم أمامه يخاطبهم ويخاطبونه؛ يقول فيسمعون، ويقولون فيسمع، وقد جعلنا نشاركه هذا؛ نبكى لبكائه عليهم وتصرخ بصراخه عليهم، وننوح على استشهادهم؛ بل ونحتسبهم عند الله، وجعلنا نصب جام غضبنا على من عاداهم وحاربهم وقتلهم وأخذ حقهم، ونطلب من الله أن يعذبهم ويقتص منهم لآل البيت الكرام، ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(٢).

وقد أبرزنا خلال الدراسة صدقه الشعورى والفنى، وجودة تعبيره عن تجربته الشعرية فى هذا الغرض وطريقته فى الصياغة الشعرية ومدى تمكنه من وسائله الفنية وذلك بالأمثلة التوضيحية، وأرجو – مخلصاً – أن أكون قد أظهرت فى هذه الدراسة شخصية الشاعر من خلال شعره فى هذا الغرض، وذكرت محاسنه وإبداعاته فى هذا الفن الشعرى؛ فإن كانت هذه وحالفنى التوفيق فيها فمن الله، وإن كانت الأخرى وأدركنى فيها التقصير فمنى ومن الشيطان، والله أسأل أن يمنحنى السداد والتوفيق، وأن يرزقنى الرشاد فى القول والعمل إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) آية رقم (١٦٩) سورة (آل عمران).

(٢) آية رقم (٨٨، ٨٩) سورة (الشعراء).

مصادر ومراجع البحث

١- القرآن الكريم.

٢- الحديث الشريف.

٣- ديوان ديك الجن الحمصى عبدالسلام بن رغبان جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجى منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٤م.

٤- الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ت إبراهيم الإبيارى القاهرة دار الشعب ١٩٦٩م.

٥- دراسات فى النص الأدبى العصر الحديث د. محمد عارف محمود حسين، د/حسين على محمد، مطابع الوفاء بالمنوفية سنة١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٦- العصر العباسى الأول د/شوقى ضيف، دار المعارف الطبعة التاسعة ١٩٨٦م.

٧- العمدة لابن رشيق تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد ط دار الجيل الطبعة الخامسة. دون تاريخ.

٨- فصول التماثيل فى تباشير السرور عبدالله بن المعتز جورج قنازع دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٩- كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب، ضياء الدين بن الأثير، نورى القيسى، جامعة الموصل ١٩٨٢م.

١٠- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ابن فضل الله العمرى ط١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١- موسيقى أوزان الشعر العربى، دراسة تطبيقية د. سيد مرسى أبوذكرى ط١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٣٩٢٥/٢٠٠٢م.

١٢- النقد الأدبى الحديث فى مذاهبه وقضاياه، د. عبدالفتاح على عفيفى ط سنة ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٤٥
من الشاعر	٤٦
أدوات الشاعر الفنية فى غرض الرثاء	٨٠
الموسيقى	٨٧
الصياغة الفنية	٨٨
التشخيص	٩٣
ملاحظات عامة على غرض الرثاء فى شعر ديك الجن	١٠٢
خاتمة البحث	١٠٧
مصادر ومراجع البحث	١٠٨
فهرس الموضوعات	١٠٩